العنوان:	نابلس في القرن التاسع عشر : دراسة مستخلصة من سجلات المحكمة الشرعية في نابلس
المؤلف الرئيسي:	الراميني، أكرم احمد سليمان
مؤلفين آخرين:	غرايبة، عبدالكريم(مشرفا)
التاريخ الميلادي:	1977
موقع:	عمان
الصفحات:	1 - 232
رقم MD:	550225
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	الجامعة الاردنية
الكلية:	كلية الآداب
الدولة:	الاردن
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	تاريخ فلسطين، نابلس، القرن التاسع عشر ، الجغرافيا
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/550225

الباب الثالث

الاحوال الاقتصادية

- ملكية الارض في الدولة العثمانية .
- الزراعة .
- الصناعة .
- التجارة - الحج الشامي .
- الضرائب والرسوم .
- النقود - مستوى المعيشه .

ملكية الارض في الدولة العثمانية

كان نظام ملكية الارض في الدولة العثمانية معقدا جدا ، وبينت الاشارات القليلة التي وردت في السجلات ، اصناف الارض في نابلس :

١ • ارض الدولة اى الارض الاميرية " الميرى " (١) ، واعتبر السلطان العثماني مالكا لها • وشكلت الاراضي الاميرية القسم الاكبر من لواء نابلس وكانت على نوعين هما :

أ • الاراضي السلطانية • وهي اقطاعات مترامية الاطراف لا يقل دخل الواحد منها عن مائة الف اقجه ، وتصرف بها السلطان شخصيا هو واسرته ، وسميت هذه الاقطاعات " خواص همايوني " (٢) • ووجد في نابلس من هذا النوع بساتين قرب مدينة نابلس ، وقال النمر " ان السلطان منحها لآل النمر " (٣) • وامتلك السلطان عبد الحميد الثاني ١٢٩٣ / ١٨٧٦ - ١٣٢٨ / ١٩٠٩ مساحات واسعة من الارض في بلاد الشام ، ومن بينها الغور (٤) • وقد تنازل السلطان عن املاكه الخاصة لصالح خزينة الدولة بارادتين في سنة ١٣٢٤ / ١٩٠٨ وسنة ١٣٢٥ / ١٩٠٩ (٥) •

ب • الاقطاعات العسكرية • واعطت الدولة هذه الاراضي الى بعض القادة العسكريين كمورد يعيشون منه (٦) ، واطلق على هذه الاراضي في المصطلح التركي " سباهي " (٧) ، واعفيت من الضرائب باستثناء ضريبة الجردة • وطلبت الدولة من هؤلاء الاقطاعيين تأدية الخدمة العسكرية ، والمساهمة في حملات الدولة وتقديم عدد مناسب من الجند

---

(١) سجل : ١٦ ص ٢٥٨ ، ٢٥٩ •
(٢) جب وبوون : ج ١ ، ص ٧٠ •
(٣) النمر : ج ٢ ص ٢٣٧ •
(٤) بويصير (صالح مسعود) : جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن ، ص ١٠٥ •
(٥) الشهابي (مصطفى) : بحث في املاك الدولة ، المشرق ، عدد ٣٠ سنة ١٩٣٢ ، ص ٥٤٤ - ٥٤٥ •
(٦) غرايبة : سورية ، ص ٤٨ •
(٧) جب وبوون : ج ١ ص ٦٩ •

على نفقتهم الخاصة ، وارسال مبلغ سنوي من المال الى الوالي المكلف بحماية قافلة الحج السنوية الى مكة (١) . وتحدد عدد الفرسان المطلوب تقديمهم حسب سعة الاقطاع ومقدار دخله ، وجنّد فارس واحد لقاء كل ٣٠٠٠ اقجه من الدخل .

عرف ثلاثة انواع من الاقطاع العسكري : الاول : الخاص ، وهو ما زاد وارده عن مائة الف اقجه ، وهو اقطاع ولاة الاقاليم (٢) . ولم يكن هذا النوع من الاقطاع موجودا في نابلس باستثناء الاراضي السلطانية . الثاني : الزعامت ، وهو ما زاد دخله عن عشرين الف اقجه (٣) . ووجد في نابلس من هذا النوع ٧ زعامت في اوائل العهد العثماني (٤) ، واصبحت ٥ زعامت في القرن التاسع عشر (٥) . الثالث : التيمار الذي قل وارده عن عشرين الف اقجه (٦) . والحد الادنى له ثلاثة الاف اقجه (٧) ، ودعي متولي التيمار تيماري او تيمارجي (٨) . وكان في نابلس ٤٢٧ تيمارا في بداية العهد العثماني (٩) ، وانخفض العدد الى اكثر من اثنين وخمسين في النصف الاول من القرن التاسع عشر (١٠) ، ثم تقلصت الى احد عشر تيمارا في العهد المصري (١١) .

---

(١) سجل : ٧ ص ٤٠٠ .
(٢) ديني : تيمار ، دائرة المعارف الاسلامية ، م ٦ ، ص ١٣٧ ، رافق : ص ٦٩ .
(٣) طابو دفتري - دفتر اجمالي لواء نابلس ، مخطوط ، ص ١٣ ، ١٤ .
(٤) غرايبة : مقدمة ، ص ٥٢٠ .
(٥) النمر : ج ٢ ص ٢٢٢ .
(٦) طابو دفتري : ص ١٥ .
(٧) جودت : ج ١ ص ٩٩ .
(٨) لوتسكي : ص ١١ .
(٩) غرايبة : مقدمة ، ص ٥٢٠ .
(١٠) سجل : ٩ ، ص ٣٢١ .
(١١) النمر : ج ٢ ، ص ٢٢١ .

ظل الاقطاع العسكري معمولا به في نابلس ، وفي غيرها من المناطق الى ان اتم السلطان محمود الثاني تنظيم الجيش الجديد ، بعد ان قضى على الانكشارية ثم رأت الدولة حل التيمار العسكري في جبل نابلس سنة ١٢٤٦/١٨٣٠ فأرسلت مرسوما حلت فيه ٥٢ تيمارا ، وحولت وارداتها لصالح الخزينة . واتضح هذا من المرسوم الموجه الى متسلم نابلس سنة ١٢٤٧/١٨٣١ " مفاخر المشايخ محسوبنا عبد الله الجرار متسلمنا في سنجاق نابلوس والشيخ حسين عبد الهادي متسلمنا في سنجق جنين والشيخ قاسم الاحمد زيد قدرهم بعد السلام التام بمزيد الاعزاز والاكرام ... المنهي اليكم بتاريخه ورد لنا فرمان جليل الشان بان من الزعما وارباب التيمارات انحل جانب منهم فمن الجملة انحل جانب تيمارات نابلوس تبلغ اثنين وخمسين تيمارا فمن حين حلها يكون محصولها لجانب الخزينة الملوكانية لانها تخصصت لمصارفات العساكر المنصوره المحمدية وورد ضمن الامر الشريف دفتر بأسماء التيمارات المذكورة " (١) . وطلب المرسوم تحصيل محصول التيمارات المذكورة عن سنة ١٢٤٥ / ١٨٢٩ وسنة ١٢٤٦ / ١٨٣٠ (٢) . ثم وزعت الدولة بعض التيمارات المحلولة على بعض الشيوخ والمتنفذين في نابلس ، فمنحتهم اقطاعات خاصة بهم ، ولكن ليس بمفهوم الاقطاع السابق . فأعطت الدولة ايراد قرية بيت وزن للشيخ قاسم الاحمد ، وهذا واضح في المرسوم الاتي : " قدوة الاماجد متسلمنا بسنجق نابلوس حالا زيد مجده نبدي اليكم انا قد انعمنا على رافع مرسومنا هذا الشيخ قاسم الاحمد الجماعيني جميع ايراد قرية بيت وزن العائد الى خزينتنا من مال ميري وعبودية وذخاير وغيرها الى ما شاء الله تعالى " (٣) . وهناك مرسوم آخر بنفس الصيغة ، نص على اعطاء وارد قرية عرابه للشيخ حسين/عبد الهادي (٤) .

تقلص النفوذ الاقطاعي كثيرا في جبل نابلس ، حينما جاء ابراهيم باشا ، فقد احصى الاقطاعات العسكرية ، وابقى التيمارات القديمة بيد اصحابها

---

(١) سجل : ٩ ص ٣٦٨ .
(٢) نفس السجل : ص ٣٩٨ .
(٣) سجل : ٨ ص ٢٨٩ .
(٤) نفس السجل : ص ٢٥١ .

" وجعل المستجد منها قيد الدرس ، ومنع المحاكم الشرعية من تصديق الاقطاعات السباهية وشرائها قبل استشارة عماله " (١) . وبين كشف الصاليانه التي هي المرتب السنوى للميرى (٢) ، لسنة ١٢٤٩ / ١٨٣٣ ، اسماء اصحاب الزعامت والتيمار في جبل نابلس .

اصحاب الزعامت

١. زعامت حوارة : للشيخ محمد القاسم .
٢. زعامت فحمه : لجناب الشيخ حسين عبد الهادى .
٣. زعامت جناب احمد اغا النمر .
٤. زعامت دار طوقان .
٥. زعامت محمد بك عسقلان .

اصحاب التيمار

١. ابراهيم عسقلان واخيه اولاد صالح بك : تيمار قرى " كفر اللبد وجماعين واودلا وقوزه وعوريف " .
٢. تيمار خليل مرعي .
٣. سليمان زيدان : تيماريا سوف .
٤. ابن الشيخ حمد القاضي : تيماررنطيس .
٥. اولاد باكير : تيمار عصيره القبلية .
٦. اسماعيل قبيصي : تيمار كفر حته .
٧. اولاد كنعان ابو زعرور : تيمار العطاره .
٨. محمد درويش : تيمار عسافه .
٩. اسماعيل شافعي : تيمار حزيمة والطيرة .
١٠. اسماعيل صوار : تيمار عزون .

---

(١) رستم : بشير ، ص ١٢٠ .
(٢) الصاليانه او الساليانه هي المرتب السنوى للميرى . الانسي (محمد علي) قاموس اللغة العثمانية المسمى الدراريات اللامعات في منتخبات اللغات ، ص ٢٨٨ .

١١ . تيمار السيد حسن ابو عباه : في المطوق (١) .

عمل ابراهيم باشا على اضعاف الاقطاعيين ، فحل قواتهم العسكرية ، وجردهم من السلاح بالقوة (٢) ووضع للاقطاعيين رواتب محدده بدلا من واردات اقطاعاتهم . فالغى اقطاعات اولاد الشيخ حسين عبد الهادى سنة ١٢٥٠ / ١٨٣٤ في قرى : فاقوم ، ابو زابورة ، كفسب ، فراسين ، العطاره ، كفيرت ، كفرادان ، البارد ، وفحمه . وحدد لكل من الشيخ عبد الله حسين عبد الهادى ومحمد حسين عبد الهادى وعبد القادر حسين عبد الهادى معاشا سنويا بمقدار ١٠٨١٦ قرشا وعشرين باره ، وذلك " بدلا من محصول القرايا الذى كانت بيدهم " (٣) . واستعاض ابراهيم باشا عن السادة الاقطاعيين غير المطيعين الى السلطة بأناس خضعوا له كلية ، فاقصى آل جرار وآل القاسم وآل طوقان ، وقرّب آل عبد الهادى . وادت اجراءات ابراهيم باشا هذه الى تهديم الجدر الاقطاعية في اوائل النصف الثاني من القرن التاسع عشر (٤) .

حاولت الدولة العثمانية الاستفادة من تجربة الحكم المصرى ، فاعلن خط كلخانة ١٢٥٥ / ١٨٣٩ الغاء الاقطاع الوراثي . وسارت الدولة على السياسة التي تبناها السلطان محمود الثاني من قبل ، وهي محاربة اصحاب العصبيات والحقوق المكتسبة من المتنفذين ، واخضاع العناصر المتمردة من الولايات وارباب الاقطاعات (٥) .

٢ . الارض الخاصة : وهي ملك اصاحابها ، واتضح ان الارض التي امتلكها الناس في نابلس في القرن الماضي كانت الدور والبساتين

---

(١) النمر : ج ٢ ، ص ٢٢٢ .
(٢) عوض : ص ٢٩٠ .
(٣) رستم : الاصول م ٣ ، ٤ ص ٧٠ .
(٤) عوض : ص ٢٩٠ .
(٥) نفس المصدر : ص ١٩ .

في مدينة نابلس (١) ، والدور والحواكير في القرى (٢) . وكان باستطاعة السكان ان يتصرفوا بهذه الارض كيفما شاءوا من بيع او شراء او توريث .

٣. ارض المشاع : وهي الارض القريبة من القرية ، وتبين ان الناس كان بامكانهم زراعة ارض المشاع ، فغرسوا اشجار الزيتون ، ومن زرع شيئا فهو له (٣) . وقد شجع ابراهيم باشا الناس على زراعة واستصلاح هذه الارض وقال " ان الاراضي الموات اذا قام احد باستصلاحهما صارت ملكا خاصا تنتقل الى ورثته " (٤) . وكذلك فعلت الدولة العثمانية ، فقد ورد في المادة ١٢٧٢ من قانون الاراضي ما نصه " اذا احيا شخص ارضا من الاراضي الموات بالاذن السلطاني صار مالكا لها ، واذا اذن السلطان او وكيله لشخص باحياء الارض على ان لا يكون ممتلكا لها بل لمجرد الانتفاع فذلك الشخص يتصرف بتلك الارض كما اذن له ، كما لا يكون مالكا بتلك الارض " (٥) . وما دعا اليه ابراهيم باشا ، او ما سمحت به الدولة لم يكن جديدا على التاريخ الاسلامي ، فقد تحدث ابو يوسف عن الارض الموات وقال : " وكل من احيا ارضا مواتا فهي له " (٦) .

٤. أرض الوقف : لم يترك المسلمون وجها من وجوه الحاجة ، ولا جانبا من جوانب الخير والبر ، ولا فرعا من فروع الحياة تحتاج الى مساعدة الا وقد وقفوا عليه (٧) . والوقف نوعان : " وقف خيري " للمساجد والمدارس الملحقة بها ، والزوايا . و " وقف ذري " خاص بالوراثة (٨) . واكثر اراضي

---

(١) سجل : ١٠ ص ٢٧ ، ٦٥ ، ٢٠٠ ؛ سجل : ١٢ ص ٨٠ .
(٢) سجل : ١٠ ، ص ٢١٠ ، سجل : ١٢ ص ١٠٤ ، ١٤٠ ،
سجل ١٦ ، ص ٢٥٩ ، سجل ١٨ ، ص ٣٠٦ .
(٣) سجل : ٢١ ، ص ١٠٧ .
(٤) نوار : ص ٩٥ .
(٥) مجلة الاحكام : ص ٢٠٥ .
(٦) ابو يوسف (يعقوب بن ابراهيم) : كتاب الخراج ص ٦٤ .
(٧) حون (سعيد) الاسلام ، ج ٣ ص ٢٢٥ .
(٨) Bakhit: (M.A.S) The Ottoman Province Of Damascus In The Sixteenth Century . P. 166

الاوقاف جاءت من كبار الاقطاعيين (١) ، وبدرجة اقل من صغار الملاكين (٢) . اوقف المسلمون مساحات واسعة من الاراضي للموءسسات الاسلامية ، فقد اوقفت ٣٥٠ قطعة ارض من اراضي قرية طولكرم ، خصص واردها للمدرسة الجوهرية في القدس (٣). وكل اراضي الوقف ما عدا : اوقاف مكة والمدينة والقدس والخليل والجامع الاموى وبنايات السلطان سليم وسليمان في دمشق ، والاوقاف التي تخص لالا مصطفى حاكم دمشق (٩٧١ / ١٥٦٣ - ٩٧٦ / ١٥٦٨) (٤) ، تدفع العشور وضريبة "العوارض" (٥) . وهذا يفسر لماذا كانت الدولة تخصص اوقافا في نابلس لموءسسات في القدس .

ونظرا لكثرة واردات الاوقاف ، عينت الدولة عليها متولين ونظّارا للاشراف عليها . ويبين احد المراسيم مهمة متولي وقف الجامع "بتعاطي وظيفة امور التولية والنظر على الجامع وقبض غلته وصرفها على تنوير الجامع وفرشه وكنسه وتعميره وخدمته" (٦) ، ويتناول هو "معلوم التولية من ريع الوقف بعد اداء الخدمة"(٧) .

نظمت الدولة العثمانية امور الاراضي ، ففي البدء منعت انتقال حق التصرف بالارض الا بمعرفة المحكمة الشرعية (٨) . ثم اصدرت قانون الطابو سنة ١٢٨٧ / ١٨٧٠ ، وقانون الاراضي سنة ١٢٨٩ / ١٨٧٢ . وتضمن قانون الطابو ست مواد عالجت كيفية انتقال الارض من شخص الى آخر ، والغت جميع الاوراق الثبوتية القديمة التي تتعلق بحق التصرف في الارض . وطالب القانون السكان ضرورة مراجعة دوائر الطابو في مراكز الولايات والالوية ، لتجديد براءاتهم (وثائقهم) وتسجيلها ، ودفع رسم الطابو . وحدد القانون مدة عشرين يوما لاتمام هذه العملية (٩) .

---

(١) سجل : ٩ ص ٣٦٩ .
(٢) لوتسكي : ص ٩ .
(٣) سجل : ١٤ ص ١٥٣ .
(٤) المقار (ابن جمعه) : الباشات والقضاة ، نشر وتحقيق صلاح الدين المنجد ، ص ١٦ .
(٥) Bakhit , P. 166.
(٦) سجل : ٨ ، ص ٤١٠ .
(٧) سجل : ١٢ ص ٢٣٨ .
(٨) سجل : ٨ ص ١٢٢ .
(٩) سجل : ١٧ ، ص ٧٧٨ .

الزراعـــــــة

وصف عبد الله عارف تربة نابلس فقال : " هي قليلة الثخانة وغير سميكـــة وغلب المظهر الصخري على منظر التربـــة ، ولذلك ظهرت المنطقـــة جرداء فقيـــرة التربـــة الزراعية ، ولا تظهر التربة الصالحة الا في الاماكن المنخفضـــة والاماكـــن المنبسطـــة من الجبال ، وتكون تربة لحقية منتزعة من الجبال " (١) .

اعتمدت الزراعة في لواء نابلس بصورة عامة على الامطار ، اى ان اكثرهـــا كان بعليا ، ولذا فان المحصول الزراعي اختلف من سنة الى اخرى ، فاذا كثـــر المطر ازداد الانتاج ، واذا قل المطر قل الانتاج . ولكن مدينة نابلس امتازت عن بقيـــة المناطـــق التابعة لها بزراعتها المروية ، وذلك لكثرة عيونها ومياهها الجارية ، وقد تحدث عن هذه الميزة ابن حوقل فقال : " ومياه فلسطين من الامطار والطـــل واشجارها وزروعها اعذاء بخوس (٢) ، لا يسقي فيها الا نابلس فان فيها مياهـــا جاريه " (٣) . وقال ابو الفدا : " فلسطين ماؤها الامطـــار واشجارهـــا وزروعها اعذاء الا نابلس فان مياهـــها جاريه " (٤) . ولما زارهـــا الرحالة ابـــن بطوطة قال : " ثم خرجت الى مدينة نابلـــس وهي مدينة عظيمة الاشجار مطـــردة الانهار " (٥) . وبنفس هذا المعنى وصفها الحنبلي بقوله : " وهي كثيـــرة الاعين والاشجار والفواكـــة " (٦) .

عرفت نابلس في القرن الماضي من المحاصيل الزراعية الغذائية : الحنطة والذرة البيضاء ، والحمص (نخود) ، والفول (بقله) ، والترمس ، والعـــدس

---

(١) عارف : ص ٤١ .
(٢) ابن حوقل (ابو القاسم البيضـــي) : كتاب صورة الارض ، ص ١٥٨ .
(٣) عَذَى يَعْذَى عذىً وعذي وجمع العذي أعـــذاء . واعـــذاء الـــزروع التـــي لا يسقى الا من مـــاء المطـــر لبعده من الميـــاه . ابن منظور : م ١٥ ، ص ٤٤ . وبَخوس من بَخَس : وهي ارض تنبت بغيـــر سقي . ابن منظور ، م ٦ ، ص ٢٥ .
(٤) ابو الفدا (عماد الدين اسماعيل بن محمد) : تقويم البلدان ، ص ٢٢٧ .
(٥) ابن بطوطة (ابو عبد الله محمد بن ابراهيم) : تحفة النظار في غرائـــب الامصار وعجائب الاسفار ، ج ١ ص ٣٥٠ .
(٦) الحنبلي (مجير الدين) : الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، ج ٢ ، ص ٧٥ .

(مرجمك) (١) ، والشعير - الذى زرع بكثرة في وادى الشعير - (٢) • والحلبة (٣) ، واشتهرت نابلس بزراعة البطيخ " الزائد الحلاوة على جميع بطيخ الارض " (٤) ، لا سيما في ناحية بني صعب (٥) • وزرع في نابلس من المحاصيل الزراعية الصناعية : السمسم الذى تقدمت زراعته منذ سنة ١٢٥٩ / ١٨٤٣ (٦) ، والنيله في منطقة بيسان (٧) ، وقصب السكر (٨) •

وزرع في جبل نابلس من الاشجار المثمرة : الكرمة (العنب) ، والكرز (٩) واللوز الذى زين جبل نابلس (١٠) ، والتين والسفرجل والتوت (١١) ، والموز (١٢) والبرتقال " بورجان " (١٣) ، والزيتون وهي اهم شجرة في نابلس على الاطلاق (١٤) فبالقرب من مدينة نابلس يوجد وادى يقال له " وادى الزيتون (١٥) •

ونبتت في جبال نابلس اشجار اخرى ، كستها بمناظر خلابه مثل : الخرنوب والزعرور والصنوبر والسرو والنبق والبطم والسنديان والسرخس والدفران والآس والغبيره (١٦) .

---

(١) سالنامة بيروت : ص ٢١٨ - ٢٣٦ •
(٢) الدباغ : ج ٢ ق ٢ ص ٣٩٢ •
(٣) كتفليك : ص ١٠٥ •
(٤) كرد علي : خطط ، ج ٤ ، ص ١٦٦ ، العابدى نقلا عن شيخ الربوه ، المجموعة الاولى ص ١٥٦ •
(٥) سالنامة بيروت : ص ٢١٨ - ٢٣٦ •
(٦) لجنة من الادباء : ج ٢ ، ص ٤٠٨ •
(٧) جب وبوون : ج ٢ ، ص ١٠٥ •
(٨) كتفليك : ص ١٠٥ •
(٩) سجل : ١٣ ، ق ١ ، ص ٢٦٠ •
(١٠) الدباغ : ج ١ ، ق ١ ، ص ٤٤٦ •
(١١) بوست (جورج) : اقاليم سورية وفلسطين النباتية ، المقتطف م ٨ ، سنة ١٨٨٣ - ١٨٨٤ ، ج ٧ ، ص ٤٢٠ •
(١٢) الحنبلي : ج ٢ ص ٧٥ •
(١٣) سالنامة بيروت : ص ٢١٨ - ٢٣٦ •
(١٤) ابن بطوطه : ج ١ ص ٣٥٠ ، كرد علي : خطط ، ج ٤ ، ص ١٦٦ • الدباغ : ج ٢ ، ق ٢ ، ص ٤٠٩ •
(١٥) النابلسي : (الشيخ عبد الغني) : الحقيقة والمجاز في رحلة الشام ومصر والحجاز • مخطوط ، ص ٨٧ •
(١٦) بوست : اقاليم سورية ، المقتطف ، م ٨ ، ج ٧ ، ص ٤٢٠ •

وهناك البلوط والحور والسريس والدوم او السدر والكينا (١) .

يبدأ الموسم الزراعي في منطقة نابلس في اواسط شهر تشرين اول" وعندها يصلح الفلاح ادواته الزراعية من السكة والمحراث الخشبي . واذا وصل الفلاح الى الحقل نزع عباءته ، فالقاها على الارض ، والقى زوادته المصرورة بمنديل ملون ، وهي غذاؤه من الخبز والجبن والزيتون . وهناك يطلق حماره ، ويقرن الثورين بالنير ، فاذا ادخل عكفة المحراث في شرعة النير ، حمل المساس (المنساس (٢) بيده وجعل الاخرى على السكة وزجر ونهر ، وصاحب الثلم الطويل الى آخر الحقل ، ثم ارتد بتلم آخر يحاذيه ، وهكذا دواليك ، حتى يستبين من الشمس انه الظهر ، فيدع الفدان ليجتر ، ويعود الى حيث ابقى ثوبه وطعامه " (٣) . وفي بعض الاحيان ينكش الفلاح الارض بالفأس . وكما كان الفلاح ، ولا يزال ، يرحب بالوسم المبكر ، فانه تاق ولا يزال الى المتأخر في نيسان . ومن امثالهم العامية " شتا نيسان بيحيي الانسان " (٤) و " شتوة نيسان بتسوى السكة والفدان والقرتة والصيصان " (٥) .

واذا نبت الحقل قام الفلاح بتعشيبه من الاعشاب الضارة بالمزروعات . واذا اقترب الحصاد في اوائل فصل الصيف ، قام الفلاح بنقل مزروعاته على الجمال والدواب الى اراض مشاع بجوار القرية ، دعيت ولا تزال تدعى بالبيادر (٦) . ثم تبدأ عملية الدراس بواسطة النورج (٧) اى (اللوح) " وهو زحافة من الخشب اركزت على بطنها الزاحف اضراس من الصوان الاسود ذات تخاريب كالانياب او البراثن حادة ، وجرها حمار او كديش او بقرة " (٨) .

---

(١) الدباغ : ج ١ ، ق ١ ، ص ٦٠ .
(٢) نيوتن (فرنسيس املي) : خمسون عاما في فلسطين ، ترجمة وديعة البستاني ، ص ٤٠ ، ٤١ .
(٣) المنساس : عصا طويلة يبلغ طولها حوالي اربعة اذرع رأسها مدبب وفي مقبضها حديدة .
(٤) شقير (نعوم) : امثال العوام في مصر والسودان والشام ، ص ٢٧ ،
(٥) جميل (انطون افندى) : امثال العوام في الشهور وفصول العام ، المشرق ، عدد ٨ سنة ١٩٠٥ ، ص ٦٤٤ .
(٦) نيوتن : ص ٤١ .
(٧) جب وبوون : ج ٢ ، ص ٦٨ .
(٨) نيوتن : ص ٤٠ ، ٤١ .

تأثرت حالة الزراعة في نابلس في القرن التاسع عشر بعوامل متعددة ،فقد تعرضت المزروعات بين الحين والاخر لغزوات الجراد ، كما حصل سنة ١٢٢٧/ ١٨١٢ حينما " غزا الجراد نواحي نابلس وغزز في السواحل البحرية من بلدة صفد الى طرابلس الشام " (١) . وغزا الجراد مرة ثانية خلال الحكم المصرى فأرسل ابراهيم باشا عساكره لاتلاف بيوضه (٢) . وأساء الى حالة الزراعة كثرة الضرائب التي كان على الفلاح ان يدفعها ، والتي دفعت فلاحي نابلس للثورة مرة ضد عبدالله باشا سنة ١٢٤٦ / ١٨٣١ ، ومرة ضد ابراهيم باشا سنة ١٢٥٠/١٨٣٤. وقد كان لوجود النظام الاقطاعي اثر سلبي على النشاط الزراعي ، حيث وجدت عدد من العائلات تمتعت بنفوذ اقطاعي كبير ، عاشت واثرت على حساب الفلاحين مثل : آل طوقان في ناحية بني صعب ، (٣) وآل عبد الهادى في عرابة (٤) ،وآل القاسم في نواحي جماعين (٥) ، وآل جرار في صانور ." واصبح الفلاحون في هذا النظام اجراء في ارضهم ، وغدا الاقطاعيون صلة الوصل بين الفلاحين والحكومة ، وحاجزا منع الفلاحين عن الدولة ، وتمتع هؤلاء السادة بحق الضرب والجلد والسجن . وتصرف الاقطاعيون بأراضيهم وقراهم دون ادنى مراعاة لحقوق ومصالح الفلاحين " (٦) .

اثرت اجراءات ابراهيم باشا على الزراعة بشكل ملموس ، فقد منع الاحتكار (٧)

---

(١) ؟ : مصر والشام منذ مائة عام ، المقتطف ،م ٤١ ، ١٩١٤، ص ١٤٠ .
(٢) كرد علي : خطط ،ج ٣ ، ص ٦٨ .
(٣) سجل : ٦ ، ص ٣٢٠ ، ٣٥٩ ، سجل : ٧ ، ص ٣٥٦ .
(٤) سجل : ٨ ، ص ٣٥١ .
(٥) نفس السجل : ص ٢٨٩ .
(٦) غرايبة : سورية ، ص ٢٠٨ .
(٧) الاحتكار : بدأ الاحتكار بأن من لا يستطيع دفع الضريبة نقدا يقدم صنفا من الحاصلات بدلا منها ، وبالتدريج صارت الحكومة مالكة لمعظم المحاصيل الزراعية ، ثم تولت الدولة بيع الحاصلات للاهالي والتجار وصدرتها لحسابها .
الرافعي : ص ٦٣٠ - ٦٣١ .

تصدير الغلال والحنطة سنة ١٢٤٨ / ١٨٣٢ الى الخارج . وادى نظام التجنيد الاجباري الذي فرضه ابراهيم باشا الى فقدان الزراعة العناصر البشرية اللازمة لها (١) . وربما كان نظام الالتزام في جميع الضرائب اكبر سبب في سوء الاحوال الزراعية . ان كل هذه العوامل مجتمعة اضافة الى اضطراب الامن وهجمات البدو في بعض الاحيان ، عملت على تدهور الاوضاع الزراعية في نابلس في القرن الماضي . ورغم ذلك فقد اعتبر موشيه ماعوز نابلس " افضل من غيرها في مجال الانتاج الزراعي وساعدها على ذلك كونها من اكثر المناطق خصبا وامنا ، كما ان نابلس استطاعت الدفاع عن نفسها ضد جامعي الضرائب وضد البدو والمجاورين لها ، ولذا انتجت نابلس بشكل جيد لدرجة كانت تكفي الاستهلاك المحلي وتزيد للتصدير بكميات ضخمة للخارج " (٢) .

تحسنت الزراعة بشكل ملحوظ في العهد المصري ، فقد عمل ابراهيم باشا على تحسين احوال الفلاحين وجعل علاقتهم بالحكومة مباشرة بدلا من علاقتهم بالملتزمين (٣) . كما الغى الاقطاع وحدد الضرائب التي تجبى من الفلاحين ، وحرّم الابتزازات الاقطاعية (٤) . وحاولت الدولة العثمانية السير قدما بتحسين احوال الزراعة فاصدرت وزارة (نظارة) الزراعة والتجارة سنة ١٢٩٣/١٨٧٦ امرا الى جميع الولاة والحكام في جميع انحاء الدولة ، حثتهم فيه على تنشيط الزراعة ، وتأسيس جمعيات زراعية في جميع مراكز الولايات والالوية والاقضية . ووجد في مدينة نابلس وفي اقضيتها في نهاية القرن التاسع عشر غرف التجارة والزراعة (تجارت وزراعت اوطه سي) ، وتكونت غرفة التجارة والزراعة من رئيس واربعة اعضاء (٥) . والى جانب ذلك اوجدت الدولة البنوك الزراعية في مدينة نابلس وفي اقضيتها الثلاثة (جنين ، بني صعب ، جماعين) ، وتكون مجلس ادارة البنك من رئيس وعضوين اخرين (٦) .

---

(١) عوض : ص ٢٢٩ .

(٢) Maoz : P. 165 .

(٣) الرافعي : ص ٦٢١ .

(٤) لوتسكي : ص ١٣٢ .

(٥) سالنامة بيروت : ص ٢١٨ - ٢٣٦ .

(٦) نفس المصدر : ص ٢١٨ - ٢٣٦ .

الصناعــــــــة

وجدت في نابلس عدة صناعات في القرن الماضي ، ورد ذكر بعضها في اماكن متفرقه من السجلات . ومن ذلك صناعة الحلويات ، وفي مقدمتها الكنافة والبقلاوة ، وقد اتضح وجود هذه الصناعة من الوثيقة التالية : " غب الدعوى الشرعية ثبت بذمة الحاج عارف شاكر ضبطية سوارى بنابلس الى محمد بن خضر الفلاحه من نابلس واحد وتسعون غرشا وثلاثون بارة بقية ثمن حلويات كنافة وبقلاوة ثبوتا شرعيا حسب اقراره بذلك ... " (١) . ورجح الدباغ ان تكون الكنافة قد ظهرت مع ظهور القطايف في عصر المماليك (٢) . والى جانب ذلك عرفت نابلس شراب الخروب ، وهي صناعة قديمة ذكرها ابن بطوطه في زيارته لنابلس اذ قال : " وبها يصنع حلواء الخروب " (٣) كما صنع الدبس من الخروب (٤) . ومن الحلويات كذلك صناعة الحلاوة والطحينة (٥) . كذلك انتشرت في نابلس صناعة الكلس (الشيد) (٦) . ووجدت صناعة طحن القمح بواسطة طواحين تدار بالماء (٧) ، وصناعة الفخار ، وصناعة الصياغة (٨) ، وممن اشتهر بها في القرن الماضي عبد الله الاسطه (٩) ، وعبد الله عصاش . وعرفت نابلس كذلك صناعة النسيج اذ كان في مدينة نابلس وفي

---

(١) سجل : ٣٥ ، ص ١٥٠ .

(٢) الدباغ : ج ٢ ، ق ٢ ص ٢٠٥ .

(٣) ابن بطوطه : ج ٢ ص ٣٥٠ .

(٤) النابلسي : الحضره الانسية في الرحلة القدسية ، الاوراق غير مرقمه .

(٥) عارف : ص ١٥٨ .

(٦) سجل : ٢٣ ص ١٢٣ .

(٧) سجل : ١١ ص ٦١ .

(٨) سجل : ١٤ ص ٥٥ .

(٩) اسطه : لفظ غير عربي ومعناه المصطلح عليه في الشام المجيد المتقن في صنعته . القاسمي (احمد محمد سعيد) قاموس الصناعات الشامية ، ص ٣٧ .

بعض القرى المجاورة لها كبرقا وعورتا ، انوال لنسج العبي (تشبت) ، وكان في نابلس سوق دعي بسوق الغزل (١) . وبلغ قيمة الانتاج السنوي لهذه المراكز في نهاية القرن التاسع عشر عشرين الف قرش واستهلك اكثره داخل اللواء (٢) ، ووجدت صناعات اخرى مثل دبغ الجلود والنجارة واوتار العود والحدادة والصباغ الاسود من ورق السماق او من قشر الرمان (٣) .

انتشرت في نابلس صناعة استخراج الزيوت النباتية مثل زيت الزيتون وزيت السيرج من السمسم (٤) . واستخرج زيت الزيتون بطريقة الهرس بواسطة احجار مدورة ، تدوس حبات الزيتون الموجودة داخل حفرة من الصخر . وبعد انتهاء الهرس تؤخذ المعجونة وتضغط بالايدي لاستخراج الزيت منها . ثم تطورت هذه العملية الى عطية البد ، وهذه اعتمدت على قاعدة حجرية كبيرة مدورة الشكل فوقها حجر الطاحون الكبير ، ويدور هذا الحجر على محور من الخشب او الحديد . يجره اما حمار او حصان او بقرة (٥) .

واشهر صناعات نابلس هي : صناعة الصابون (٦) . حتى انه نسب اليه فقيل : " الصابون النابلسي " (٧) وبين كرد علي سبب شهرة صابون نابلس فقال : " وخير الصابون واشهره اليوم الصابون النابلسي فيه على ما يظهر خاصية ليست بغيره وان السر في جودته اتقانه بدون غشش (٨) ، واستمرت هذه الجودة في صناعة الصابون في القرن التاسع عشر ، فقد ذكرت مجلة الهلال

---

(١) سجل : ١١ ، ص ٢٣٧ .
(٢) سالنامة بيروت : ص ٢١٨ - ٢٣٦ .
(٣) النمر : ج ٢ ص ٢٨٦ ، عارف ص ٥٨ .
(٤) نفس المصدر : ص ٢٨٦ ، ص ٥٨ .
(٥) عارف : ص ٥٨ .
(٦) مؤلف مجهول : ص ٢٠ .
(٧) سجل : ٨ ص ٢٨٩ .
(٨) كرد علي : خطط ، ج ٤ ، ص ١٧٦ .

" ان افضل انواع الصابون المعروف بالنابلسي " (١) ، وذكر القاسمي " أن اكثر اهل دمشق يستعملون الصابون المعروف " النابلسي " ويأتي من بلدة نابلس" (٢) . وسبب شهرة نابلس بهذه الصناعة ، هي توفر زيت الزيتون المأخوذ من شجرة الزيتون التي زرعت بكثرة في جبل نابلس .

قامت صناعة الصابون على زيت الزيتون والقلي والكلس (الشيد) (٣) وبلغ عدد المصابن بنابلس في القرن الماضي نحو ثلاثين مصبنة (٤) ، وذكرت السجلات بعضها مثل : مصبنة الشمراوية ، ومصبنة العصارية (٥) والمصبنة العثمانية (٦) . اما ادوات هذه الصناعة كغيرها من الصناعات فقد كانت ادوات قديمة (٧) ، وهي عبارة عن قدر نحاس ، وآبار واحواض لوضع الزيت والقلي والشيد ومبسط لبسط الصابون فيه (٨) . وممن عمل بهذه الصناعة من سكان نابلس في القرن الماضي (محمد افندى مرتضى الجعفرى قيمقام نقيب الاشراف والشيخ يوسف زيد القادرى ، والسيد الحاج محمود تفاحه الحسيني والسيد عبد القادر هاشم الحنبلي والحاج اسعد شموط والمكرم احمد الطاهر والسيد محي الدين عرفات ويوسف بن احمد طوقان والحاج اسماعيل كمال والشيخ عبد الله الحامد القدومي) (٩) . ويلاحظ ان اكثر اهل هذه الحرفة هم من الاشراف .

---

(١) مجلة الهلال : السنة ١٢ ، ١٩٠٣ - ١٩٠٤ ، ص ١٥٨ .
(٢) القاسمي والعظم : ص ٦٩ .
(٣) سجل : ٢١ ، ص ١٨ .
(٤) غرايبة : سورية ، ص ١٤٧ .
(٥) سجل : ٩ ، ص ٣٧٥ .
(٦) نفس السجل : ص ٩٥ .
(٧) عضوب (يوسف) : مع فولني في رحلة الى الشرق ، عدد ٤١ سنة ١٩٤٧ ، ص ٥١٣ .
(٨) سجل : ٩ ص ٩٥ .
(٩) نفس السجل : ص ٣٧٥ .

انتظم اصحاب كل مهنة في نابلس في جماعات (١) ، ولكل جماعة شيخ مسؤول مهمته الحفاظ على تماسك اعضاء جماعته وملاحظة اشغال اهل حرفته ، وصيانتها من الغش (٢) . كذلك نظم مع الدولة امر توزيع الضرائب السنوية التي تفرض على اعضاء الجماعة (٣) . وهذا ما فعله جماعة المصابنه (اصحاب صناعة الصابون) ، اذ اجتمعوا ووزعوا الضرائب على مصابنهم بحسب عدد الطبخات التي طبخت في مصابن المدينة ، كما تبين من الوثيقة التي ذكرت اصحاب هذه الصناعة سنة ١٢٥٤ / ١٨٣٨ وقالت " ... انهم توافقوا وتراضوا مع بعضهم على المبلغ المرتب عليهم في كل سنة لجهة الميرى الذى يدفعوه لخزينة نابلس ان يكون موزعا ومقسوما على عدد الطبخ في المدينة وقدر ذلك المبلغ واحد وعشرون الف قرش وثلاثماية يوزعونه على عدد الطبخ التي تطبخ في مصابن المدينة " (٤) .

---

(١) سجل : ٩ ، ص ٣٩٠ .
(٢) سجل : ١٠ ، ص ٧٤ .
(٣) جب وبوون : ج ٢ ، ص ١٣٧ .
(٤) سجل : ٩ ، ص ٣٧٥ .

التجـــــارة

ساعد موقع نابلس المتوسط بين مدن فلسطين على ان تكون محط رجال القوافل القادمة من الشرق للغرب والمتجهة من الجنوب الى الشام (١) ، زد على ذلك ان كيان الامبراطورية العثمانية الواسع وامكانية التنقل من مكان الى اخر ضمن القوانين نفسها والنظام الاداري نفسه دون ان يضطر التاجر الى استعمال لغة جديدة او نقود جديدة ، كل ذلك امور لا تخفى اهميتها في تعزيز حركة التجارة (٢) . كما عملت الادارة المصرية في الشام على تطوير التجارة الخارجية اذ كتب القنصل الروسي بازيلي قائلا : " ان الحرية التي منحتها الادارة المصرية للتجارة بعثت حياة جديدة في المدن الساحلية فاصبحت بيروت وصيدا وطرابلس أسواقا للجبليين الذين استبدلوا في هذه المدن الحرير وزيت الزيتون بالقمح ومنتوجات الصناعة الاوروبية " (٣) . ولا شك ان قيام الثورة الصناعية في اوروبا نشط حركة التجارة بين دول اوروبا الصناعية وبين اقطار الدولة العثمانية (٤) .

نظمت الدولة العثمانية اثر صدور قوانين التنظيمات امور التجارة والزراعة والصناعة (٥) واصدرت قانون اصول المحاكمات التجارية سنة ١٢٧٨ / ١٨٦١ ، وقانون المحاكم التجارية سنة ١٢٨٤ / ١٨٦٧ وقانون التجارة البحرية في تلك الفترة (٦) .

---

(١) بلدية نابلس : ص ٢ .
(٢) سوفاجيه (جان) : دمشق الشام ، المشرق ، عدد ٣٤ سنة ١٩٣٦ ، ص ١٩٩ .
(٣) لوتسكي : ص ١١٣ .
(٤) رستم : بشير ، ص ٥٥ .
(٥) عوض : ص ٥٥ .
(٦) البستاني (سليمان) : عبرة وذكرى او الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده ، ص ١٢ ، ١٣ . غرايبة : سورية ، ص ٣٦ .

وعلى الرغم من ازدهار التجارة الداخلية والخارجية بين الاقاليم في القرن الماضي الا انه وجدت عدة عوامل عملت على عرقلتها ، فالفقر العام الذى كان ملما بالسكان واستمرار انحطاط مستوى معيشتهم ، قد جعلا اى احتمال للتوسع التجارى امرا بعيدا . وادى اضطراب الامن ، وعدم اطمئنان المسافرين بسبب استمرار تهديد قطاع الطرق واللصوص ، الى الهبوط العام بمستوى النشاط التجارى (١) . كما ان " اصحاب المقامات العالية والافندية اعتادوا على نهب اصحاب التجارة والحرف وسائر الطبقات العاملة " (٢) . وعمل على اضعاف التجارة سياسة الاحتكار التجارى التي اتبعتها الادارة المصرية في الشام بمصادرة كل بضاعة لا يجوز بيعها الا بمعرفة الميرى ، مثل الكتان وبذور العصفر والنيلة والحناء (٣) .

امتدت تجارة نابلس الى اماكن متعددة ، فوصلت الى مصر والشام والحجاز (٤) . وجبل لبنان (٥) ، كما تاجرت نابلس مع القدس (٦) وعجلون (٧) ومعان (٨) . والسلط (٩) وتعدت تجارتها الى جزر البحر المتوسط وسواحل البحر الاحمر والخليج العربي وشمال افريقيا واسيا الصغرى (١٠)، ووصلت الى فرنسا (١١) .

---

(١) جب وبوون : ج ٢ ص ١٤٨ .
(٢) نوار : ص ٤٠٦ .
(٣) رستم : بشير ، ص ١١٩ .
(٤) كرد علي : خطط ، ج ٤ ، ص ١٦٦ .
(٥) لجنة من الادباء : ج ٢ ص ٤٤١ .
(٦) سجل : ١٢ ص ٣٤٨ ، سجل : ١٥ ص ٣٤٣ .
(٧) سجل : ١٢ ، ص ٣٤٨ ، سجل : ١٥ ، ص ٣٤٣ .
(٨) سجل : ١٦ ، ص ٢١٩ .
(٩) سجل : ١٤ ص ٩ ، ٢٨ .
(١٠) النمر : ج ٢ ، ص ٢٨٩ .
(١١) لجنة من الادباء : ج ٢ ص ٤٤١ .

صدّرت نابلس الى مصر القطن والزيتون وزيت الزيتون ودبس الخروب (١) . كما صدّرت اليها الصابون بكميات كبيرة " ... وجميع الثلاثمائة شوال من الصابون الناشف المرسلات لمصر برسم البيع قبل جمادى الثاني سنة ١٢٩٤ وقيمتهم ٢٢٢٧٥٠ قرش " (٢) . واستورد اللبنانيون القطن من نابلس لغزله ونسجه (٣) . وصدّرت نابلس الى فرنسا كمية قليلة من السمسم سنة ١٢٥٩ / ١٨٤٣ وذلك برسم التجربة فلقي رواجا ونجاحا (٤)، وصدّرت كذلك الجبن وزيت السيرج والدخان والشمع (٥) .

اشارت السجلات الى وجود علاقات تجارية بين نابلس وجبل عجلون ، فقد ورد ان رجلا من قرية "سوف" اشترى اقمشة من نابلس بقيمة الفي قرش ، واشترى رجل اخر اقمشة بقيمة ٥٢٥٢ قرشا (٦) . ولعل اوثق العلاقات التجارية كانت مع السلط ، اذ اشارت السجلات الى عمليات بيع وشراء ودعاوى بين اناس من السلط واناس من مدينة نابلس او من قراها (٧) . ولاحظ بيركهارت في زيارته للسلط " وجود حوالي عشرين حانوتا يبيع بالجملة بضائع لتجارة الناصرة ودمشق ونابلس والقدس " (٨) .

---

(١) العطار : ج ١ ص ١٥٧ .
(٢) سجل : ٢١ ص ١٩ .
(٣) لجنة من الادباء : ج ٢ ص ٤٤١ .
(٤) نفس المصدر : ص ٤٤١ .
(٥) سجل : ٩ ص ٣٩٤ .
(٦) سجل : ١٥ ، ص ٣٤٣ .
(٧) سجل : ١٤ ، ص ٦ ، ٢٨ .
(٨) بيركهارت : ص ٧٩ .

استورد تجار نابلس من دمشق واستانبول والهند ومصر ، الاواني والقدور النحاسية والحرير والقهوة والشاى الكشميرى والاسلحة والسجاد والحلي (١) . واستوردوا من القدس في بعض الاحيان زيت الزيتون (٢) . واشتروا القلي من اعراب البلقاء وخاصة بني صخر . والقلي او القلو هو رماد شجر الدردار المستعمل في صناعة الصابون . وكان هؤلاء البدو يحرقون كيمات كبيرة من شجر الدردار في الصيف، والرماد الناتج يباع لتجار نابلس (٣) . وشرح بيركهارت كيف ان تاجر نابلس كان يضطر للمجيء بنفسه الى السلط في فصل الخريف " وحسب العادات القديمة ينزل في احد البيوت الخاصة ، واثناء بقائه يدفع جميع النفقات التي تصرف في البيت الذى ينزل فيه ، وهو ايضا ملزم باطعام جميع الغرباء ، والذين يصلون الى السلط اثناء المدة التي يكون هو فيها هناك . وكنتيجة لذلك تبقى المنازل مغلقه ، وحين مغادرته المكان يقدم هدايا كثيرة . ولكي ينال جميع الاهالي نصيبهم من المنافع الناجمة عن زيارته ينزل كل سنة في بيت غير الذى نزل فيه في السنة السابقة " (٤) . وقد حاول ابراهيم باشا احتكار تجارة القلي ، فأجبر عرب البلقاء على بيع القلي الى الدولة ،وعلى اصحاب صناعة الصابون شراء القلي منها . والحق ذلك الضرر بتجارة القلي ،وبصناعة الصابون ، ولذا عاد ابراهيم باشا فرفع احتكار هذه المادة . واتضح ذلك في المرسوم التالي " قدوة الاماجد متسلم نابلوس الشيخ حسين عبد الهادى انه قد عرض لدينا بأن المصابن الموجودة بالقدس ونابلوس جرت العادة ان اصحابها يتسوقوا قلوها من عرب البلقاء وبني صخر ويطبخوا بها الصابون ومن حيث ان القلو مضبوط الى الميرى فبالعام الماضي صدر التنبية من حضرة حكمدار باشا بأن العرب يأخذوا القلو الى غزة ينشترى على

---

(١) النمر : ج ٢ ص ٢٩٦ .
(٢) نفس المصدر : ص ٢٠٤ .
(٣) رستم : الاصول ، م ٢ ، ص ٣٣ ١
(٤) بيركهارت : ص ٨٢ .

ذمة الميرى واصحاب المصابن في القدس ونابلوس يشتروا القلو من طرف الميرى ومن حيث ان هذا الوجه حصل منه مشقة على العربان باخذ القلو الى غزة وعلى المصابنه من جلبه من غزة بسبب بعد المسافة وزيادة كرى الشال ومن ذلك صار تعطيل في طبخ الصابون ونتج ايضا عدم فايدة الميرى بسبب عدم ورود القلو الى غزة وانه اعطى اذن الى عربان البلقاء وبني سخر في جلب القلو الى القدس ونابلوس حسب العادة " (١) .

انتقلت معظم البضائع التجارية من نابلس برا بواسطة القوافل ، او بحرا على سفن تركية او اوروبية . قام عرب سيناء بحراسة القوافل الصغرى القادمة من فلسطين (٢) . ولذا كانت القافلة الشيء البارز في حياة المدينة ، ومن هنا وجد في نابلس الخانات العديدة ، مثل خان التجار (٣) ، وخان الدواب (٤) . وقد تكون الخان في القرن الثامن عشر من ساحة مربعة على الغالب ، احاط بها رواق دائر مرتفع على اعمدة . وجعلت الطبقة العليا من الخان غرفا للسكن ، بينما خصص الطابق السفلي للحيوانات والاسطبلات . ثم حصل تطور على بناء الخان وشكله في القرن التاسع عشر ، فأخذت الساحة تضيق وتسقف بالقباب ، وتحولت الساحة الى مستودع للبضائع كي تكون في مأمن من تقلبات الجو (٥) . وقد وصف " اوليا جلبي في زيارته لنابلس سنة ١٠٨٢ / ١٦٧١ ، خان التجار - الذى يقال له اليوم الخان العتيق - فقال : " له بوابتان على طرفيه تغلقان يوميا عندما يجن الليل ، ويتألف من ٣٧٠ دكان على كل جانب من جانبيه ، مرتبة جميعها ترتيبا جيدا .

---

(١) رستم : الاصول ، م ٢ ، ص ١٣٣ - ١٣٤ .
(٢) جب وبوون : ج ٢ ، ص ١٥٣ .
(٣) سجل : ١٣ ، ف ١ ، ص ١٣٧ .
(٤) سجل : ١٣ ، ف ٢ ، ص ١٧٩ .
(٥) سوفاجيه : دمشق الشام ، المصرف ، ٣٤ ، ص ٢٠١ .

وعلى الرغم من انه لا يوجد في هذا السوق محل خاص لبيع الحرائر فيمكن الحصول على كل شيء لانه مطوء بالبضائع . وفي منتصفه يوجد مائة دكان على جانبي ممر مسقوف ، وعلى يسار هذا السوق، يوجد خان ضخم اشبه بمصر فيه ١٥٠ غرفة متجاورة (١) . وبلغ عدد الدكاكين في الستواء نابلس في نهاية القرن التاسع عشر ١١٧٤ دكانا (٢) .

وكما انتظم اصحاب الحرف في جماعات انتظم التجار في جماعات واهتمت كل جماعة بنوع معين من التجارة فهناك : جماعة اللحامه ، جماعة البازرجية (٣) ، جماعة السمانة (البقالة) ، جماعة الصاغة (٤) وجماعة المصابنة (٥) ، ومن ورد ذكرهم في سجلات القرن الماضي من جماعة التجار :صالح البشتاوي، عمر البلبيسي ، مصطفى السختيان ، الحاج محمد سبع العيش ، عبد الله يعيش الحاج محمد البشتاوي ، وحسن النابلسي (٦) . ومن جماعة اللحامه : يعقوب بطوط ، اذ ياب بطوط ، احمد اسعد ، علي النصوصه، الحاج محمد الموسى وابو مصلحم، ومن البازرجيه : مصطفى العالول ، محمد الفقيه داود وعثمان ، وعيسى ابن شاهين . ومن تجار السمانه : على طبيله سعيد القدسي ، وداود المسلماني . ومن الصاغة : حجازي ، عبد الله الاسطه ، عبد الله عماش (٧) .

---

(١) الدباغ: ج ٢ ، ق ٢ ، ص ١٥١ .

(٢) سالنامة بيروت: ص ٢١٨-٢٣٦

(٣) البازرجي : هو صاحب دكان فيها مختلف الحاجيات .
Redhouse (James .W) , Turkish Enlish Lexcion P. 322

(٤) سجل : ٩ ، ص ٣٩٠

(٥) نفس السجل : ص ٣٧٥

(٦) سجل : ٩ ص ٣٨٥ ، سجل : ١٣ ، ق ١ ، ص ١٣٦ .

(٧) سجل : ٩ ، ص ٣٨٥ .

اعتبر التجار من اصحاب المكانة المرموقة في نابلس ، فقد خاطبتهم الحراسيم المرسلة من ولاة الدولة العثمانية الى متسلمي نابلس بلفظ " ... وبقية اهالي ووجوه البلدة واعيان وتجار البلدة عموما " (١) . كما خوطب شيخ التجار بلفظ " فخر التجار " (٢) او بلفظ " عمدة التجار " (٣) . وتمكن كثير من التجار الحصول على ثروات ضخمة وصاهروا البكوات والارستقراطية العسكرية ، واسر المشايخ (٤) .

استخدم تجار نابلس من المصطلحات التجارية : الوصل (٥) ، السند ، والشركة كشركة يوسف العمد واسعد شموط (٦) ، وشركة عبد الفتاح اغا النمر والحاج ابراهيم العنبتاوي التي بلغ رأسمالها ٢٨ الف قرش لشراء قلي وكلس مما يلزم للمصبنة لاجل طبخ الصابون (٧) . واستخدم التجار في العهد المصري رخص استيراد لشراء البضائع كالقلي مثلا (٨) .

عرفت نابلس من المكاييل : الكيل (٩) والصاع وسعة الصاع ثلاثة ارطال واربع اوان نابلسية (١٠) ، واستخدموا القيراط (١١) في

---

(١) سجل : ٦ ، ص ٣٣٨ ، ٣٥٦ ، ٣٦٧ ، سجل : ٧ ، ص ٣٥٢ .
(٢) سجل : ٩ ، ص ٢٢ .
(٣) سجل : ١٣ ، ق ١ ، ص ١٦٣ .
(٤) جب وبوون : ج ٢ ، ص ١٥٢ .
(٥) سجل : ٢١ ، ص ٣٩٤ .
(٦) سجل : ٩ ، ص ٤٤٧ .
(٧) النمر : ج ٢ ، ص ٢٨٠ .
(٨) رستم : الاصول : م ٢ ، ص ١٣٤ .
(٩) كان الكيل في دمشق يساوي $\frac{1}{12}$ من غرارة هنتس : ص ٩٨ .
(١٠) سجل : ١٣ ، ق ١ ، ص ٨٣ .
(١١) القيراط : مقياس مساحة مصري وهو $\frac{1}{24}$ فدان . هنتس : ص ٩٨ .

عمليات بيع وشراء الاراضي والعقارات . واستخدم الذراع (١) في بيع الاقمشة . وتجدر الاشارة الى ان الذراع المستعمل في الدولة العثمانية لم يكن واحدا بل تغير طوله من مكان الى اخر ، ثم رأت الدولة استخدام " الاندازه " (٢) المدموغه من قبل دائرة الضربخانه . ثم عادت الدولة وامرت بترك استعمال الاندازة واعتماد الذراع العثماني المدموغ من قبل الضربخانة (دائرة ضرب العملة) (٣) . واتضح ذلك من صورة الامر التالي : " مستغني عن البيان ان الاذرع التي صاير استعمالها بالممالك المحروسة مختلفة وان يكن الان صار تنظيم وتسوية عيار اذرع المعمارية وان اذرع الخوجه والقماش بهذا الوقت كل واحد في كيل وبالخصوص ان بعضه بنباع بالذراع وبعضه بالاندازة وصاير من ذلك مضرات بالاخذ والعطا وبما انه مقتضى تنظيم معياراتها صار التذكر والتنسيب بالمجلس العالي ان بعد الان التي عمال يستعملوها الاصناف يصير وضع الدمغة عليها مجددا من جانب نظارة الضربخانة ... يصير ترك الاندازة في كل محل ويصير استعمال الذراع ويصير عمل اذرع مدموغة بالضربخانة ويصير تطبيق الاذرع الموجودة بيد الاصناف عليها " (٤) .

وفي مجال الاوزان كان هناك القنطار وهو مائة رطل (٥) والرطل اثنتا عشرة اوقية (٦) . وكانت الوحدة الرئيسية في تجارة الصابون هي " الوزنة " وتساوى ثمانية ارطال (٧) . واستخدمت الطبة في بيع المحاصيل الزراعية مثل :

---

(١) وجدت عدة انواع من الاذرع الا ان الذراع المستعمل في تجارة الاقمشة هو الذراع الاستانبولي ، وكانت قياساتها تختلف من بلد الى آخر فذراع القدس ٦٤٫٧٧ سم ، وذراع دمشق ٦٣٫٧٥ سم . هنتس : ص ٨٣ - ٦٣ .

(٢) الاندازة : مقياس تركي للقماش وهو حوالي ٢٦ بوصة .
Redh ouse : P . 216 .

(٣) برغوث : ص ٣٠٤ .

(٤) سجل : ١١ ، ص ١٨ .

(٥) سجل : ٢١ ، ص ١٨ .

(٦) هنتس : ص ٣٢ .

(٧) سجل : ٢١ ، ص ١٨ .

" طبتين عدس وطبتين شعير وطبتين حنطة " (١) . وبيع الجفت (مطحون عجم الزيتون بعد عصره) بالحمل (٢) وهناك اوزان اخرى مثل الاقه واستخدمت في بيع زيت الزيتون (٣) ، والوقية النابلسية خمسة وسبعون درهما اى ما يعادل ٢٥٠ غم (٤) .

الحج الشامي

كان الحج الى مكة ، والركب الشامي اكبر عملية تجارية ، وقد جنت الشام وخاصة دمشق ارباحا اكثر اذ ان القافلة الشامية كانت في المقدمة من حيث حجمها واهميتها . وكان لامداد الحجاج بالمقادير اللازمة لتموينهم في رحلة تستغرق ثلاثة اشهر في الذهاب الى مكة والعودة منها ، وتزويد الالاف منهم بوسائل النقل وادوات الخيام ، دور كبير عمل على تعزيز حركة التجارة (٥) . وعهد الى الوالي ، امير الحج ، (٦) ان يقود الحجاج الى مكة بقافلة عظيمة يحميها الجيش بمدافعه لالقاء الهيبة في قلوب البدو الذين استطاعوا في بعض الاحيان قطع الطريق على الحجاج واجبارهم على العودة دون ان يسمحوا لهم بالوصول الى مكة ، كما حصل عندما سيطر الوهابيون على طريق الحج (٧) . ولم يكن بامكان الحجاج الوصول الى مكة دون دفع مبالغ معينة من المال لارضاء البدو (٨) .

---

(١) سجل : ٢٢ ص ١٢٣ ، سجل : ١٥ ، ص ٣٨٨ ، لم استطع ان اتبين وزن الطبة .

(٢) سجل : ٢١ ، ص ١٨ ، وقدر وزن الحمل ٢٥٠ كغم ، هنتس : ص ٢٧ .

(٣) الاقة : وحدة وزن عثمانية تزن ٤٠٠ درهم اى ١,٢٨٢ كغم ، هنتس ص ١٩ .

(٤) النمر : ج ٢ ، ص ٢٧٨ .

(٥) جب وبوون : ج ٢ ص ١٥٠ .

(٦) انفصلت امارة الحج عن الولاية سنة ١٨٧١/١٢٨٨ . المنجد (صلاح الدين) : ولاة دمشق في العهد العثماني ، ص ٧ .

(٧) الشهابي : تاريخ احمد ، ص ١٨٥ .

(٨) نفس المصدر : ص ١٨٣ ، الماضي والموسى : ص ٥ .

جرت العادة ان يتجمع الحاج في دمشق ، ثم يسيروا لقطع البادية ، ولذا كان لا بد من شراء واستئجار الدواب ، وتجهيز المؤونة التي تكفي لمعيشتهم حتى رجوعهم ، وخاصة من مادة القمح . ووصف " مناريوس " مشاهدته لخروج احد مواكب الحج فقال : " وما احب ان اذكره عنا اني شاهدت خروج الحج من دمشق ورجال الحكومة يتقدمون المحمل الشريف بالملابس الرسمية والموسيقى الشاهانية وتبعه جمهور ينيف على مائتي الف نسمة والبدو على متون الخيل والجمال ينشدون الاشعار ويضربون بالدفوف ، ويلعبون بالرماح ويتبارزون على ظهور الجياد ، فخلتني واقفا في بلاد العرب ارى ما كنت اقرأ عنه واسمع ، وما كنت اعلمه " (١) .

لقد كان موسم الحج موسما تجاريا ، استفادت منه نابلس ومعظم البلاد الاخرى . فكان الحجاج العائدون يحضرون بضائع الشرق الاقصى معهم من البن والعبيد . وظل الحج حتى اوائل عصرنا الحاضر العامل الهام في تطور التجارة (٢) .

---

(١) مناريوس : دمشق الشام ، المقتطف م ٦ ، ١٨٨١ ، ص ١٢٣ .
(٢) سوفاجيه : دمشق الشام ، المشرق ، ٣٤ ، ص ٢٠٠ .

الضرائـــــــب

فرضت السلطات العثمانية عددا من الضرائب والرسوم ، وذكرت السجلات والمصادر الاخرى عددا من الضرائب والرسوم فرض على اهل نابلس اداؤها في القرن التاسع عشـر .

اولا : الضرائب التي اشارت اليها السجـلات .

١ . الميـرى : وسميت بذلك نسبة الى الاراضي الاميرية اى اراضي الحاكم او اراضي الدولة ، ومن هنا سميت الضرائب المأخوذة منها " الميرية" او " مال ميرى " (١) . ومن الطبيعي ان تهتم الدولة بهذه الضريبة اهتماما كبيرا ، فأكثر ارض الدولة ارض اميرية ، وقد اعطى السكان حق التصرف بها وزراعتها مقابل دفع نسبة معينة من انتاجها . وما من مرسوم صادر من السلاطين او من الولاة الى متسلمي نابلس الا واشار الى هذه الضريبة ، وحث على دفعها " ... ومهما كان مطلوب من اموال ميرية توردونهم الى تحت يد كاتب السنجق " (٢) . واوضحت المراسيم ان ميرى نابلس وكافة المناطق التابعة لايالة الشام قد خصص للانفاق على قافلة الحج السنوية الى مكة (٣) . وهذا ما جاء في رسالة عبد الله باشا الى موسى بك طوقان وكيل متسلم نابلس سنة ١٢١٦ / ١٨٠١ " ان قرش الميرى مرتب الى مصارف حجاج المسلمين " (٤) . وفي مكان اخر " ان قرش ميرى مرتب على مصارف حجاج المسلمين " (٥) . وهذا يعني ان الضريبة مخصصة لنوع معين من النفقات ، كما يعني ايضا ان الميرى يذهب للانفاق على حجاج المسلمين ، ويصرف لخير الاسلام .

---

(١) رافق : ص ٦٨ .
(٢) سجل : ٦ ، ص ٣٥٦ ، ٣٧٦ .
(٣) سجل : ٨ ، ص ٤٢٦ .
(٤) سجل : ٦ ، ص ٣٥٦ .
(٥) نفس السجل : ٦ ، ص ٣٢٦ ، سجل : ٨ ، ص ٢٦١ .

وقد اعتبرت الدولة استمرار دفع السكان لهذه الضريبة دليل ولائهم. " ان حسن الاستقامة تنفيذ هذه المهام " (١) .

وقعت مهمة جمع مال الميرى على عاتق الوالي الذى اعتاد ان يقوم هو بنفسه بهذا الامر ، او قد يرسل وكيلا عنه للقيام بهذه المهمة (٢) . وكان الوالي يخرج كل سنة قبل خروج قافلة الحج بفترة من الزمن ، فيمر على طبريا وجنين وجبال نابلس واحيانا يستمر الى القدس (٣) . وسمي خروجه هذا لجمع المال من الملتزمين في الولاية "بالدورة" (٤) . واتضح من المراسيم ان الوالي كان يخبر المتسلم بعزمه على التوجه الى نابلس لجمع مال الميرى ، ويطلب منه "ضرورة تجهيز كافة المطلوبات" (٥) . وظهر هذا من مرسوم عبد الله باشا الى متسلم نابلس سنة ١٢١٨ / ١٨٠٣ " ... تحيطون علما هو انه بعد الاتكال على الملك المتعال قد صممنا وعزمنا على تحريك ركابنا السعيد من محروسة الشام الى طريق الدورة بالعساكر الوفيرة والجنود الكثيرة لاجل تحصيل الاموال الميرية المربوطة لطريق الحاج الشريف من نواحيكم ويقتضي منكم جميعا تكونوا على كمال اليقظة والانتباه في مداركة الاموال الميرية " (٦) . واذا اراد المتسلم التزلف للوالي والمداهنة له دعاه للقيام بالدورة ومن ذلك دعوة الشيخ يوسف الجرار لعبد الله باشا بالتحرك الى طريق الدورة وتسلم الميرى ، وقد رد عليه الوالي شاكرا له اهتمامه ، واطلعه انه عما قريب سيتحرك بالعساكر ، وبين له انه حال وصوله " يكون القرش والذخاير

---

(١) سجل : ٦ ، ص ٣٤٢ .

(٢) سجل : ٨ ، ص ٣٣٧ .

(٣) Cohen ; P. 165 .

(٤) رافق : ص ٢٣ .

(٥) سجل : ٦ ، ص ٣٤٩ ، ص ٣٥٠ ، سجل : ٧ ، ص ٣٨٥ .

(٦) سجل : ٦ ، ص ٣٤٩ .

وكافة المطلوبات القديمة والجديدة تحت يد كاتب السنجق " (١) . وجرت العادة ان تدفع نابلس الميرى المطلوب منها الى كاتب السنجق في اللــــواء ، واذا دفع المال الى شخص غيره كأن ارسل الى دفتردار الولاية (٢) ، فعندئذ كـــانت نابلس تأخذ وصلا بذلك لارساله الى الوالي اشعارا بذلك (٣) .

احتلت الميرى مكانة هامة في مجال العلاقات بين الدولة العثمانيـــة وولاتها وبين السلطات المحلية في نابلس . واعتبرت قدرة المتسلم علـــى تحصيل الميرى والذخاير دليلا على حسن ولائه وشرطا من شروط تعيينه ودوام رضا الدولة عليه (٤) . ولذا كانت الدولة تحذر المتسلم باستمرار من التهاون او التقصير في هذه المسألة " ان هذا قرش ميرى ما فيـــه عذر ولا جـــواب وهو فرض عين " (٥) . وتأكد ذلك ايضا من مرسوم عبد الله باشا الـــى متسلم نابلس سنة ١٢١٥ / ١٨٠٠ " واذا شاهدنـــا من احـــد قصور فـــي اموال ميرية والذخاير لا تقبل له عذر ولا جواب ويندم غاية النـــدم " (٦) . ولهذا السبب عزلت الدولة موسى طوقان متسلم نابلس سنة ١٢١٩ / ١٨٠٤ " لعدم رضا الوالي عن الذخاير والاموال التي قدمها المتسلم، وفهم هذا من قول الوالـي : " ... وبحسب ما صدر من موسى طوقان من الاطوار المنافية لرضا الله تعالـى ورضانا وعدم استقامته على النهج والاستقامة برؤية الخدامات المبرورة العايـــدة لطريق الحق " (٧) .

---

(١) سجل : ٦ ، ص ٣٥٥ .

(٢) الدفتردار هو كبير المحاسبيـــن في الولاية . برغـــوث : ص ٣٠٧ .

(٣) سجل : ٦ ، ص ٣٥٥ .

(٤) سجل : ١٠ ، ص ٢٧٤ .

(٥) سجل : ٦ ، ص ٣٢٦ ، سجل : ٨ ، ص ٣٦٤ .

(٦) سجل : ٦ ، ص ٣٦٥ .

(٧) نفس السجل : ص ٣٣٨ .

اوكل الوالي مهمة جباية الميرى في منطقته الى موظف او زعيم محلي اطلق عليه لقب " متلزم " او " مقاطعجي " واحيانا " شيخ " . وكان بامكان الملتزم ان يوكل جباية الضرائب في منطقته الى اشخاص من قبله ، ولكن وقعت عليه مسوءولية تسليم المال بعد ذلك الى المحصل (١) . وكان الوالي حينما يخرج لجمع مال الدورة يقابله المشايخ " بعد ان يكرمهم ويلبسهم الخلع حسب رتبة كل منهم من فراوى وقنابيز حرير وجبب وشالات كشمير وطرابيش يجلسون لتوزيع المال ، وبعد الاتفاق مع الوالي على ذلك ، وعلى ما يقدم للوالي من هدية ، يفرضون على القرى ما يشاوءون فيعطيهم الناس بدون سوءال ولا رد " (٢) .

لم يكن باستطاعة الولاة العثمانيين تحصيل ما يشتهون من اموال وذخاير من نابلس ، وباستمرار كانت تتأخر في دفع كامل الميرى المطلوب منها . ولذا فقد الحت المراسيم على ضرورة ارسال الميرى " وبقايا السنين العتيقة " (٣) . ففي مرسوم الدولة الي يوسف ضيا حاكم نابلس سنة ١٢٧٥ / ١٨٥٨ دعته الدولة الى " الاجتهاد بأمر تحصيل الاموال الميرية والذخاير المرتبة وبقايا السنين العتيقة وتوصيلها لجانب الخزينة " (٤) . واذا عجز الوالي عن تحصيل الميرى المطلوب لخزينته ، احال المبلغ الى خزينة الدولة ، وعندئذ كان الجيش العثماني يقوم بتحصيل ذلك المبلغ (٥) .

---

(١) رافق : ص ١٥٨ . والمحصل هو رئيس المالية (الدفتردار) ، كان يقوم بالاشراف على جباية مختلف الرسوم والضرائب . رسل : ص ١٧٨ .

(٢) دروزه : نقلا عن ابراهيم العورا ، العرب : ج ٢ ، ص ٢٢٥ .

(٣) سجل : ١٠ ، ص ١٤١ ، سجل ١٢ ، ص ٢٤٥ .

(٤) سجل : ٦ ، ص ٣٣١ ، سجل : ١٢ ، ص ٢٤٥ .

(٥) سجل : ٦ ، ص ٣٥٧ .

٢ . الذخيـــرة . (١)

صحب الوالي في قيامه بطريق الدورة جيش لمساعدته على جمع مـــال الميـــرى من المقاطعات (٢). وهذا يعني ان تحصيل الضرائب لم يكن يتـــم بسهولة ، وكان لا بد لهذا الجيش من نفقات واحتياجات ، لذا قررت الدولـــة ضرورة تقديم " الذخاير " من المناطق التي يمر منها العسكر . وهذا واضـــح في مرسوم سليمان باشا والي صيـدا والشام الى موسى طوقـان متسلم نابلـــس سنة ١٢٢٢ / ١٨٠٧ ، اذ بعد ان شرح له عن نيته في التحرك القريـــب للدورة وضرورة تجهيز الميرى قال : " ... وتوريد الذخاير الى عساكرنـــا المنصورة بمدة مكثنا في تلك الاطراف " (٣) ومن الممكن ان تقدم الذخيرة الـــى جيش غير جيش الوالي ، وفي وقت غير وقت الدورة ، وفي مثل تلك الاحوال لا بد من صدور امر سلطاني بذلك (٤) .

اهتم الولاة بمسألة الذخيرة كاهتمامهم بالميرى . واتضح ذلك من قـــول الوالي " الذخاير من اهم المهمات والزم اللوازم ولا يقاس بغيرها " (٥) ولم تكـن ضريبة الذخيرة محدودة ومقدرة ، بل تزداد بازدياد العساكر المرافقة للوالـــي " ... انما بخصوص الذخاير يكون هذه وافره لزيادة عساكرنا عن السنيـــن المتقدمة " (٦) وجاء في مكان آخر " وتكون الذخاير وافره لان غير خافي وفـــور العساكر بطرفنا " (٧)" وتكون الذخاير وافرة بزيادة عن المعتاد لإنه غيـر خافي وفور عساكرنا المنصورة المتوجهين معنا لطريق الدورة " (٨) .

---

(١) وردت في السجلات بلفظ " الزخيرة " و " الزخاير " بلفظ الزاى بدل الذال .
(٢) سجل : ٦ ، ص ٣٧٤ .
(٣) سجل : ٧ ، ص ٤٠٣ .
(٤) سجل : ٦ ، ص ٣٥٤ .
(٥) نفس السجل : ص ٣١٤ .
(٦) سجل : ٧ ، ص ٣٥٦ .
(٧) سجل : ٦ ، ص ٣٥٤ .
(٨) سجل : ٧ ، ص ٤٠٣ .

شرحت المراسيم ماهية الذخاير المطلوب تقديمها وهي : شعير ، واغنام ، وخبز ، وجش وقرب . وطلب الولاة من متسلمي نابلس ارسال هذه الذخاير الى اماكنها التي حددتها الدولة وهي : " جلجوليه " ، " وقلنسوه " و " وعيون الاساور " . كما اتضح ذلك من مرسوم قائد الجيش العثماني " ... تحيطون علما ان الذخيرة المطلوبة في ثلاثة منازل من نواحي نابلس في منزله جلجولية ومنزله قلنسوة وعيون الاساور " (١) .

كانت غالبية الملتزمين لاموال الميرى في نابلس في النصف الاول من القرن التاسع عشر من ذوي العصبيات المحلية واصحاب السلطة والنفوذ ، وذلك كي يستطيع الوالي جمع الضرائب بسهولة (٢) ، ومن هؤلاء الشيخ عبد الله الجرار ملتزم غور بيسان (٣) ، والشيخ قاسم الجماعيني " التزم قرية جينصافوط بالف قرش سنوي يدفعها الى الخزينة حين مرور مال الدورة " (٤) . وكان آل طوقان ملتزمين لناحية بني صعب " (٥) ، والتزم الشيخ حسين عبد الهادي واولاده قرى " كفر قود " و " فراسين " و " العطارة " و كفرادان " و " البارد " و " فحمة (٦) .

كان هؤلاء الملتزمون والمتسلمين على تفاهم اتفاق . فقد يدفع المتسلم في نابلس فيجبي بعض الاعيان اموالا الى الدولة مطلوبه من بعض الملتزمين

---

(١) سجل : ٦ ، ص ٣٥٤ .
(٢)
(٣) سجل : ٩ ، ص ١٠ .
(٤) سجل : ٨ ، ص ٣٢٦ .
(٥) سجل : ص ٣٥٦ .
(٦) رستم : الاصول م ٣ ، ٤ ، ص ٧٠ .

في اللواء (١) ، ولم يكن باستطاعة الناس ايصال شكواهم الى المسؤولين لعدم وجود وسائل اتصالات سهلة (٢) زد على ذلك ان غالبيـة الملتزمين لـم يكونوا من ذوى الدين والانصاف ، وهذا ما اشار اليه احمد جودت بقولـه : " ولما ابى الاعيـان اصحاب الدين والانصاف اخذ الالتزامات اخذها الاراذل والاسافل فصار ذلك سببا لتخريب القرى الهمايونية والاقطاع " (٣) .

الغي نظـام الالتزام بأمر من ابراهيم باشا حينما سيطر على بلاد الشام سنة ١٢٤٧ / ١٨٥٦ وحرم الملتزمين من امتيازاتهم السابقـة (٤) ولم يتهاون في تحصيل ما عليهم من التزامات ماليه . ومن ذلك انه طلب من الشيخ قاسم الاحمد الجماعيني واولاده ١٢٠ الف قرش دين عليهم للميرى وكلـف الشيخ حسين عبد الهادى متسلم نابلس بيع ممتلكات آل القاسم لسداد المطلـوب عنهم للديوان (٥) .

وكذلك فعل العثمانيون حينما استعادوا سيطرتهم على بلاد الشام سنـة ١٢٥٦ / ١٨٤٠ ، اذ الغى خط " كلخانة " سنة ١٢٥٥ / ١٨٣٩ نظام الالتزام واعتبره من آلات الخراب ، ولكن الدولة عادت لاسلـوب الالتزام سنـة ١٢٥٨ / ١٨٤٢ (٦) فعهدت لموظفي الدولة ان يلتزموا مدة خمـس سنوات (٧) . وحاولـت في نفس الوقـت الحد من استبداد الملتزميـن

---

(١) سجل : ٨ ، ص ٣٩٨ ، ٣٩٩ .
(٢) بيهم (محمد جميل) : فلسفة التاريخ العثماني ، ص ٢٤
(٣) جودت : ج ١ ، ص ١١٥ .
(٤) غرايبة : سورية ، ص ٢٧ .
(٥) رستم : الاصول م ٢ ، ص ١٣٥ .
(٦) عوض : ص ١٩١ .
(٧) نفس المصدر : ص ١٦١ .

وحذرت المأمورين (الموظفين) من توزيع او ادخال مبالغ زائدة عن المقرر . واكد مرسوم السلطان العثماني المرسل الى والي صيدا سنة ١٢٦١/ ١٨٤٥ " انه اذا وقع تعد من العمال فسيقتص منه دون تأخير " (١) . وفي سنة ١٢٧٢ / ١٨٥٥ وبموجب خطي "همايون " منعت الدولة موظفيها و اعضاء المجالس المحلية من التعهد بأى التزام (٢) ومع ان الدولة لم تكن تنفذ تهديداتها ولم يكن احد من الناس يجرأ على الشكوى او ابداء المعارضه لحاكمهم في بيان تظلمهم (٣) الا ان نابلس كانت في بعض الاحيان ترفض الخضوع لاستبداد الملتزمين ، واستطاعت ان توصل صوتها لولاة الدولة (٤) فقد بين مرسوم سليمان باشا الى متسلم نابلس ان الوالي تسلم عريضه رفعها اليه اعيان نابلس شكوا فيها من ان بعض الملتزمين " اخذوا يجمعون شعيرا من فقراء البلدة بوسيلة ذخيرة الى والي الشام " (٥) . وامر الوالي بابطال هذه البدعة عن الفقراء . وشكا سليمان طوقان متسلم نابلس سنة ١٢٦١ / ١٨٤٥ موظفي الدولة بأنهم يحصلون مبالغ زائدة عن الاموال المترتبة ، وطلب مجازاتهم وانزال العقاب بهم (٦) .

٣ . <u>الجـــردة</u> .

انحصرت امارة الحج بولاة الشام في حين انها شوية الجردة وما لها انحصرت بولاة طرابلس (٧) او بولاة صيدا (٨) وفي حالات نادره بولاة حلب (٩) وسبب اختيار ولاة طرابلس وصيدا لامارة الجردة هو قرب هاتين

---

(١) سجل : ١٠ ، ص ١٥٨ .
(٢) عوض : ص ١٩١ .
(٣) موءلف مجهول : ص ٢٦ .
(٤) سجل : ١٠ ، ص ١٦٠ .
(٥) سجل : ٧ ، ص ٣٧٤ .
(٦) سجل : ١٠ ، ص ١٦٠ .
(٧) سجل : ٧ ، ص ٤٠٠ .
(٨) سجل : ٦ ، ص ٣٣٨ ، سجل : ٧ ، ص ٤٠٠ ، سجل : ١٠ ، ص ٣٨٦ ،
(٩) رافق : ص ٢٣٢ .

الولايتين من دمشق . والاهم كون هؤلاء الولاة يمتون غالبا بصلة القربى الى ولاة الشام (١) والجردة : هي المؤونة التي كانت تحمل من دمشق الى الحجاج اثناء عودتهم من الحجاز وحين بدأ البدو يهاجمون الجردة ، اضطر المسؤولون الى حمايتها وبالتدريج اطلق تعبير الجردة على القافلة التي كانت تخرج من دمشق لتموين وحماية الحجاج العائدين (٢) .

جبيت هذه الضريبة من سباهيات وزعامت نابلس ، وهذا واضح في المرسوم المرسل من سليمان باشا والي صيدا وطرابلس الى موسى طوقان متسلم نابلس سنة ١٢٢٧ / ١٨١٢ " ... المنهي اليكم انه مطلوب من زعما نابلس الفين غرش سنوى بدل مال الجردة ومطاليب الجردة عايدة لطرفنا حيث ايالة صيدا طرابلس الشام وباشوية الجردة محولة لعهدتنا العاجزه فالمراد منكم تحصلوا الفين غرش المذكورة من زعما نابلس وترسلوها لطرفنا دفعة واحدة وهذا ما لزم اخباركم والسلام " (٣) .

٤ . العشور .

الاعشار من التكاليف الشرعية ، وهي ضريبة على الانتاج الزراعي كانت بنسبة ١٠ ٪ ثم ارتفعت الى ١٢٫٥ ٪ وقد جبيت هذه الضريبة بواسطة الالتزام ايضا . وقيل لمن يشترى اعشار القرى من الحكومة بمبلغ معلوم بعد اجراء المزايدة ووقوع المزاد عليه "عشار" (٤) . وعين كل عشار نائبا عنه في القرية سمي "قولجية" (٥) ، وذلك للمحافظة على الحبوب عند اخراجها من التبن " وبعد كيلها يأخذ من محصولات تلك القرية ضمانا او يقدره بمبلغ معلوم ويأخذ ما خصه وهو عشر ذلك المبلغ" (٦) .

---

(١) رافق : ص ٢٣٢ .
(٢) نفس المصدر : ص ٢٣٢ .
(٣) سجل : ٧ ، ص ٤٠٠ .
(٤) غرايبة : سورية ، ص ٦١ ، عوض : ص ١٦١ .
(٥) القاسمي : ص ٣١٠ ، القولجي : الحارس . Redhouse, p. 868
(٦) عوض : ص ١٩٥ .

اتصف هوءلاء العشارون بالظلم وقلة الانصاف ، شأنهم في ذلك شأن الملتزمين لاموال الميرى ، واذا كان الواحد من هوءلاء العشارين من ذوى النفوذ فانه يأخذ نصف الحاصلات وربما لا يكتفي بذلك (١) . ولقد استطاع ملتزمو الاعشار الحصول على ارباح طائلة من وراء ذلك ، اذ اقر احدهم انه ربح ٥٩٠٠ قرش ، ومن القمح ٦٠ كيلا ومن الذرة ٧٠ كيلا ومن الشعير ٤٠ كيلا ومن السمسم ٢٠ كيلا ومن الكرسنة ٤ اكيال (٢) . واصبحت الجباية مطمح انظار الموظفين في الدولة " لانها توءمن لهم ثروات قد توصلهم الى سدة الوزارة " (٣) . ووصف الرحالة بيركهارت استبداد ملتزمي الاعشار وشرورهم عندما وصل الى الحصن (٤) في صيف ١٢٢٧ / ١٨١٢ اذ قال : " وصل الى القرية اغا طبرية الذى عهد اليه بهذه الوظيفة ومعه حاشية موءلفه من ١٥٠ رجل انزلهم في بيوت الفلاحين ، وكانت حصة مضيفي ٧ رجال و ١٥ حصان ، ومع انه ذبح خروفا وسلق ٢٠ رطل من الارز ، الا ان الموظفين الذين نزلوا في بيته كانوا يطلبون باستمرار ان يقدم اكثر من ذلك وفي النهاية نهب جميع اثاث بيته وعملوا في الواقع اكثر مما يعمله العدو " (٥) . وظهر مدى استبداد الملتزمين وعدم مخافتهم الله ما جاء في مجلة الجنان لعام ١٨٧٠ / ١٢٨٧ " ان الملتزم يعامل الفلاح بانواع التهديدات والانتقام وجملة معاملات خرجت عن حد نظام الالتزام وقد افاد بعض الاهالي ان بعض الملتزمين يطلبون من الاهالي عشر نتيجة الدجاجه (اى ما تنتجه الدجاجة وهو البيض) وبالغ البعض انه يطلب عشر بيضة الديك ، والبعض يطلب عشر ما تناولته يد ابن الفلاح من الفريك "(٦)

---

(١) القاسمي والعظم : ص ٣١٠ .
(٢) سجل : ١٣ ، ق ١ ، ص ٢١٩ .
(٣) كرد علي : خطط ج ٣ ص ٥ .
(٤) قرية في شمال الاردن الى الجنوب الشرقي من اربد .
(٥) بيركهارت : ص ٣٣ .
(٦) صباغ (انطون) : [illegible] ، مجلة الجنان ، ١٨٧٠ ، ص ٤٤

~~في العام الماضي طلب من~~ أعازت الدولة تنظيم الاعشار وذلك سنة ١٢٥٧ / ١٨٤١ ، واستفادت نابلس كثيرا من هذا التنظيم وتبين من مرسوم نجيب باشا والي الشام الى امراء الولاية سنة ١٢٥٧ / ١٨٤١ ، اهتمام الدولة باحوال رعاياها ، كما تبين ايضا المحاصيل التي دفعت اعشارها . وابطل المرسوم ذاته جميع المغارم الشاقة التي تكبدها الناس في الماضي من تسخير دواب ووضع اليد على بيوت الاهالي وساير التكاليف بهذه جميعا قد رفعت عن الرعايا وبعد الان لا يؤخذ مبايعات بدون قيمتها ولا تعدى ولا ظلم ولا جور (١) . وخفضت الدولة عن نابلس وجنين مبلغا جسيما من الاموال المطلوبة منهما ، فتنازلت الدولة عن ٥٣١٩١٧ قرشا و ١٧ باره من الميرى وضرائب اخرى وتنازلت عن ٧٩٢٥٤ قرش من رسوم الاعشار . وتقرر ان تدفع المنطقتان مبلغ ٩٤٧٢٢٧ ر ا قرشا وذلك بدل اعشار سنوى وصيفي ومعونه حجازيه وجهاديه وكمارك " (٢) وحدد المرسوم كذلك اعشار الغلال الزراعية في نابلس على النحو التالي :

حنطة	١٩٢٨	اردب (٣)	وخمسة ارباع (٤) .
شعير	٣٣٣٩	اردب	واربعة ارباع .
كرسنه	٢٨٣	اردب	وتسعة ارباع .
ذره	٣٧٥	اردب	وثلاثة عشر ربعا .
فول	١٥	اردب	
عدس	٤	اردب	وتسعة عشر ربعا .
سمسم	١٨	اردب	وواحد وعشرون ربعا .

---

(١) سجل : ١٠ ، ص ٢٩٠ .

(٢) نفس المصدر : ص ٢٩٠ .

(٣) اردب : مكيال مصرى للحنطة كان يساوى في القرنين الثالث عشر والتاسع عشر ٩٦ قدح اى حوالي ١٣٢ او ١٣٣ كغم ، هنتس : ص ٥٨ - ٥٩ .

(٤) الربع والربعه ، كمكيال في مصر ويساوى ربع قدح . هنتس ص

الصون	٧٢	اردب
الدقيق	؟ و ٧٠	اردب
الزيت	٤٦٩٨	اقه (١) و ٢٥٠ درهم (٢) .
السمن	٢٠٧	اقه و ٢٦٨ درهم .
قش القطن	٥٢٢١	اقه ونصف .

وختم المرسوم قوله " وبمقتضى التنظيمات الخيرية لا يطلب من الاهالي شيء سوى ذلك " . كما اصدرت الدولة اوامرها الى الملتزمين سنة/١٢٦٦/١٨٥٠ بعدم اجبار الفلاحين على نقل الاعشار بدون اجر (٣) .

ونص نظام الاعشار الصادر عام ١٢٧٣ / ١٨٦٥ على تلزيم الاعشار كل سنة ما عدا اعشار الزيتون ، فقد اجاز القانون احالتها على سنتين ومنع القانون نفسه مزايدة اعشار الولاية او المتصرفية او القضاء او الناحية كلها دفعة واحدة . بل اوجب مزايدة كل قرية واحالتها على حدة ، واجاز مزايدة البلوط والزيتون وعرق السوس جملة واحدة على جميع القضاء او المتصرفية ونص القانون ايضا ضرورة ان يكون للملتزم كفيل عثماني (٦)، وان يعين الملتزم مصرفيا له في العاصمة (٧)،

---

(١) انظر ص ٦٦ هامش ٣

(٢) الدرهم : عيار لوزن البضاعة الثمينة ، والدرهم هو درهم الكيل ويساوى حوالي ٣٫١٢٥ غم ، هنتس ، ص ١٣ .

(٣) سجل : ١٠ ص ٢٩٠ .

(٤) سجل : ١٢ ص ٨ .

(٥) عوض : ص ١٦٦ .

(٦) سجل : ١٣ ، ق ١ ، ص ١٥٩ .

(٧) عوض : ص ١٦٦ .

كما اشترط القانون ان لا يكون الملتزم من مأموري الدولة او من اولادهم أو من اقاربهم، او من اعضاء مجالس الولايات (١) . واوفدت الدولة وقت حلول الاحالة الى كل قضاء مأمور احالة من طرف حكومة الولاية او المتصرفية للاشراف على مزايدة الاعشار . انضم الى المأمور هيئة مجلس الادارة المحلي ليكونوا جميعا مشرفين على مزايدة الاعشار . وكان على من يرغب التزام الاعشار مراجعة مجلس الادارة المحلي قبل حلول مدة الاحالة باسبوع واحد على الاقل . وعلى الملتزم تقديم استدعاء بالمبلغ الذي يريد ان يلتزم به دون ذكر اسماء الاماكن التي يرغب التزام اعشارها (٢) .

ه. <u>ضرائب غير منتظمة</u> .

فرضت الدولة ضرائب اخرى ، طلبت الى الناس اداءها في مناسبات عينية مثل ضريبة " العوارض " وهي مصارف غير منظورة (٣) . وقد لجأت الدولة الى هذه الضريبة عند الضيق، او عندما كانت تعجز عن سد نفقات عارضة كنفقات حرب مثلا . واظهرت السجلات انها ضريبة نقدية ، لكن الساحلي قال انها كانت ضريبة نقدية او عينية او بدنية حسب الحالة (٤) . وقد رفعت الدولة هذه الضريبة عن نابلس سنة ١٢٤٣ / ١٨٢٧ بناء على استرحام من اسعد بك طوقان متسلم اللواء . وظهر ذلك في مرسوم الدولة التالي " قدوة الاكرام نايب افندى ومفتي افندى ونقيب افندى زيد قدرهم ان العوارض المرتبة على نابلس من قديم الزمان قد ترجانا اسعد بك وارضاء لوجه الله قد رفعت العوارض عن نابلس لا يدفعوا ولا مصرية اعلموه واعتمدوه " (٥) .

---

(١) رستم ج لبنان ص ٩٣ ، فريد : ص ٢٦٠ .
(٢) رستم : لبنان ص ٩٣ .
(٣) Redhouse: P; 326 .
(٤) الساحلي : مالية ، ص ٧ .
(٥) سجل : ٨ ، ص ٢٨٩ .

أشارت السجلات الى ضريبة "" السفرية "" (١) التي دفعتها نابلس ، وفرضت هذه الضريبة في مناسبات معينة كنشوب حرب مثلا . ودعت الدولة العثمانية الناس للتبرع بالمال سنة ١٢٢٥ / ١٨١٠ "" لاعانة سفر الجيش العثماني لا سيما وأن بيت مال المسلمين قد اعتراه فقدان القرش النقدي "" (٢) . ووردت اشارة لوجود هذه الضريبة حينما قامت الدولة بحرب اليونان ، فطلبت الدولة دفع ضريبة "" مال سفرية المورة "" ، وبلغ مقدار المطلوب من نابلس ١٩٤٤٤ قرشا ونصف (٣) ، على ان الدولة لم تكن تتشدد في استيفاء هذه الضريبة من نابلس او من المقاطعات الاخرى التابعة لولاية الشام ، فقد اعفت الدولة نابلس والمناطق الاخرى من ضرائب سفريات سنة ١٢٢٨ / ١٨٢٢ وسنة ١٢٤٠ / ١٨٢٤ ، وسنة ١٢٤٣ / ١٨٢٧ "" استجلابا لقلوب الناس "" (٤) .

وردت اشارة واحدة الى ضريبة دعيت "" البشاره "" ، وذلك في مرسوم صالح باشا والي الشام الى موسى طوقان متسلم نابلس سنة ١٢٣٣ / ١٨١٧ "" ... وكذلك الثلاثة الاف قرش بشارة حضرة مولانا الشاهزاده

---

(١) سجل : ٧ ، ص ٣٩٩ ، سجل : ٨ ، ص ٣٥٠ .
(٢) سجل : ٧ ، ص ٣٩٩ .
(٣) سجل : ٨ ، ص ٢٨٦ .
(٤) نفس السجل : ص ٣٥٠ .

المعظم قد وصلت على يد المرقوم تماما يكون معلومكم ذلك " (١) . ويبدو ان هذه الضريبة كانت تحصل عندما يحتفل السلطان بمناسبة خاصة كتسلمه الحكم اولادة مولود له .

٦ . الضرائب التي ابتدعها المتسلمون :

فرض متسلمو نابلس في النصف الاول من القرن التاسع عشر ضرائب بدعا منهم ، ومن ذلك فرضهم ضريبة على طواحين نابلس ، وضريبة على الزيتون وضريبة على اصحاب الحرف وبائعي الخضار ، فأصحاب صناعة الفخار "" يرسلوا فخار الى المتسلم والى اعيان نابلس والخضرة المرتبة الى بيت المتسلم في كل يوم ، وعشر ما يباع من املاك نابلس "" (٢) .

الغى ابراهيم باشا ضرائب المتسلمين في السنوات الاولى من حكمه لاستمالة قلوب الناس اليه ، واانه كان ينوى اصلاح احوال الناس ، وشرح في احد مراسيمه انواع المشقات التي تحملها الناس في العهود السابقة من

---

(١) سجل : ٨ ص ٣٩٨ .
(٢) سجل : ٩ ، ص ١٦٨ .

مصارف الحكام وعوايد عدا عن الاموال الميرية " (١) .- واضاف المرسوم الموجه الى حكمدار الشام سنة ١٢٤٨/١٨٣٢ : " وحيث ان الله سبحانه قد انقذهم باد خالهم تحت الحكومة المصرية فصار واجب وفرض عين التثبت باستحضار اسباب راحتهم وعدم ضررهم بمنع هذه التوزيعات عنهم وابطالها بالكلية " (٢) . وارسل حكمدار الشام صورة عن هذا المرسوم الى الشيخ محمد القاسم متسلم نابلس للعمل بموجبه وتنفيذ ما جاء به وقال له :
" ويكون معلومكم انه عدا الاموال الميرية والمهمات العايدة الى الخزينة من الان وصاعد لا تسمح ارادتنا بتوزيع عوايد متسلمية وخدامه ومصارف ولا نصف فضة واحدة خلاف الميرية وكل من يتجاسر ووزع شيء مثل هذا على الرعايا يكون خالف امرنا ووقع تحت الملام ولزم يعرف ذلك كل قرية وكل بلد ولا يدفع احد سوى الميرى " (٣) . وتنفيذا لهذه الاوامر قام الشيخ حسين عبد الهادى متسلم نابلس في العهد المصرى برفع ضريبة الطواحين وضريبة الزيتون عن اهالي نابلس وسجل ذلك في وثيقتين بالمحكمة الشرعية (٤) .

---

(١) سجل : ٩ ، ص ٣٩٤ .
(٢) نفس السجل : ص ٣٩٤ .
(٣) نفس السجل : ص ٣٩٤ .
(٤) نفس السجل : ص ١٤٣ .

٧ . الضرائب التي أشارت اليها المصادر الاخرى .

عدد عبد العزيز عوض ضرائب كثيرة استوفتها الدولة ، ومن ذلك ضريبة عند المباشرة بفتح حمام او استئجار حمام وضريبة العزوبية واستوفت من كل شاب غير متزوج بمقدار ست بارات في السنة،وضريبة الزواج بمعدل ثلاثين بارة ، وضريبة " قدوم غلمانية " اى عند ولادة المولود بمعدل ستين بارة ، وضريبة " العيدية " واخذت كل عيد ، و " قدومية " وجعلت عند قدوم الوالي واستلامه الوظيفه كتكريم له (١) . وقد رفعت الدولة جميع انواع هذه الضرائب عند صدور التنظيمات " (٢)، اما على اساس انها بدع او استجلابا لقلوب الناس " (٣)، او ان الدولة كانت مهمة بالزالة الظروف السيئة التي رزحت الرعية تحت وطأتها مدة طويلة (٣) .

ومع ان ابراهيم باشا قد حدد الضرائب في السنوات الاولى من حكمه ، الا ان الاستعدادات للحرب ضد الاتراك ، اضطرته الى اعتصار الضرائب بصورة اشد (٤) . ففرض نوعا جديدا من الضرائب مثل ضريبة الفردة " الفرضة ، وكانت تجبى في المدن على النفوس وفي القرى عن المنازل. والزم الناس بتقديم ما يلزم للجيش من حاصلات منطقتهم كالزيت والحبوب والسمن . ولذا نفر الناس من حكمه وتضايقوا من دفع اموال جديدة " علاوة عن الاموال التي دفعوها عن اراضيهم وغراسهم ومواشيهم ونحلهم وعسلهم " (٦) .

نظمت الدولة العثمانية الضرائب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وعلى الاخص بعد صدور قوانين التنظيمات فغرضت انواعا جديدة من الضرائب (٧) .

---

(١) عوض : ص ١٦ .
(٢) نفس المصدر : ص ١٦ .
(٣) الساحلي : النقود في البلاد العربية في العهد العثماني ، مجلة كلية الاداب/الجامعة الاردنية م ٢ ، ص ١٠٥ .
(٤) لوتسكي : ص ١٣٠ .
(٥) الرافعي : ص ٢٦٨ .
(٦) مشاقه : تاريخ محمد علي ، المقتطف ، م ٣٠ ، ق ٢ ، ص ٩٠٢ .
(٧) عوض : ص ١٦٩ .

وحاولت الدولة جباية ضريبة الفردة التي فرضها الحكم المصرى في الشام ، الآ انها لقيت مقاومة في ذلك ، فاستبدلتها بضريبة على البيوت (١) ، ودعيت هذه الضريبة بضريبة "المسقفات" ، التي بدأت الدولة استيفاءها منذ سنة ١٢٧٨/١٨٦١ (٢) - وترتب على ذلك ان قامت الدولة بتسجيل واحصاء البيوت في القرى والمدن ، واوجدت الدولة كذلك ضريبة المعارف بنسبة ٥٪ وفرضت ضريبة بدل عمل على كل ذكر بالغ بمعدل ١٦ قرشا في السنة ، او خدمة ثلاثة ايام في شق الطرق (٣) . وكانت الدولة تستوفي ضريبة "الجزية" من اهل الذمة (وهم غير المسلمين الذين يعيشون في الدولة الاسلامية) . وتغير اسم هذه الضريبة اثر الخط الهمايوني "الى" البدل العسكرى" اى انها اخذت ممن كان على غير الاسلام ، ولم يقم بالخدمة العسكرية (٤) .

---

(١) كرد علي : جباية الشام في الاسلام ، مجلة المجمع العلمي بدمشق ، م ١ سنة ١٩٢١ ، ص ٣٦٨ .

(٢) غرايبة : سورية ، ص ٦٢ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٦٢ ، عوض : ص ١٧١ .

(٤) رستم : لبنان ، ص ٩٥ - ٩٦ .

الرســـــوم

تعددت انواع الرسوم التي تقاضتها الدولة العثمانية في القرن الماضـــي ، فهناك رسوم الحسبه ، ورسوم التجارة والصناعة ، والرسوم الجمركيـــة .

اولا : الرسوم التي اشارت اليها السجلات : ~~الرسوم الجمركيـــة~~ .

أ . رسوم الحسبــه .

تقاضت الدولة رسوما على مختلف البضائع التي كانت ترد الى الاســـواق بقصد التجارة ، وفيما يلي الرسوم التي تقاضتها الدولة عن حسبـــــة نابلس سنة ١٢٣٥ / ١٨١٩ حسب مرسوم سليمان باشا والــــي الشام ، وتبين منه ان الرسوم كانت نقدية وعينية (١) .

نوع البضاعة	مقدار الرسم
- فردة (٢) البطيخ	رطل بطيخ
- حمل (٣) البطيـخ	٢٠ مصرية (٤) واعفي الحمل الصغير
- حمل البطيخ الاصغر (الشمام)	٣٠ فضه ، وأخذ ٥ فضه عن الحمـــل الصغيـــر .
- فردة الزبيـــب	١٠ فضه .
- فردة القطـــن	مصريتان .
- فردة المشمش والتفاح	رطل واعفيت السلال .
- فردة الليمون	١٠ فضه .
- حمل العنب	رطل واعفي عنب شاريق البيتاوى الوارد الى نابلس .
- حمل الصنوبـــر	رطل .
- حمل اللوز	رطل .
- حمل البندق	رطل .
- اردب الارز	٥ فضه .

---

(١) سجل : ٨ ، ص ٣٨٩ .

(٢) الفردة : الحمل الصغير وهو بمقدار سعة كيس واحد ، وتختلف الفردة باختلاف حمل الدابة ، ففردة الجمل اكبر من فردة البغل ، وفردة البغل اكبر من فردة الحمار .

(٣) الحمل : حمل كبير بمقدار سعة كيسين ويختلف الحمل باختلاف حمل الدابــه .

(٤) سنتحدث عن النقود في الصفحات القادمة .

- وزنة قنن القطن — مصرية واحدة ، وحمل الحمار عشرة فضه .
- رطل النيلة المصرية والخوارزمية — مصريتان .
- دق النيلة — النصف للمحتسب (١) والنصف للصباغين .
- الحمار — ١٠ فضه .
- البغل — ٤٠ فضة .

والغت الدولة رسوم الحسبة اعتبارا من سنة ١٢٦٣ / ١٨٤٦ (٢) ، باستثناء رسم الباع (٣) .

ب . رسوم تجارة المحاصيل الزراعية والصناعية .

فرضت الدولة رسوما على الزيت والسيرج والسمسم والارز والعسل والجبن والدبس ، اذا انتقلت هذه الاصناف من مكان الى اخر . ثم اعفت الدولة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر هذه الاصناف من الرسوم اذا بيعت في نفس القضاء "كمأكول للاهالي" (٤) . كذلك اعفت الدولة العثمانية الحنطة والشعير والدقيق والعلف والذرة الصفراء والذرة البيضاء من الرسوم ، ولو انتقلت هذه الغلات من مكان الى آخر وعللت الدولة هذا الاجراء بكون هذه الاصناف مادة غذائية رئيسية للسكان " ومن الارزاق الضرورية " (٥) . ومن الغريب ان الدولة لم تعتبر الخضار والفوائه في بداية الامر من الاحتياجات الضرورية للسكان ، ولذا فقد استوفت الدولة عنها الرسوم سواء اكانت من نفس القضاء ام قادمة من قضاء الى آخر (٦) ؛ الا ان الدولة عادت وعاملت الخضار معاملة الاصناف الثمانية السابقة (٧) .

---

(١) المحتسب : موظف مسؤول عن الاسواق ، ويجبي رسومها المقررة ، برغوث : ص ٢٩٨ .

(٢) سجل : ١١ ، ص ١٣٤ .

(٣) رسم الصباغات : برغوث ، ص ٢٦٩ ، الخوري : ص ٦٨ .

(٤) سجل : ٨ ، ص ٣٨٩ .

(٥) سجل : ١١ ص ٢٥ .

(٦) نفس السجل : ص ١٣٤ .

(٧) سجل : ١٢ ، ص ١٧٢ .

تقاضت الدولة في النصف الاول من القرن التاسع عشر رسوما على بعض الصادرات التجارية من نابلس ، فقررت ان يؤخذ عشر فضة على حمل المحلوج من القطن، وثلاثون قرشا على حمل الغزل الخارج الى الشام ، وعشر فضه على حمل الاثواب الخارج للشام ،واربعون فضه على حمل الجبن ، وعشر فضه على رطل الشمع ،ورطل عناب على كل حمل منه (١) .

استوفت الدولة رسم الاميرية على(٢) الزيت الذى يرد لاجل صناعة الصابون ، ووضعت رسم "الرفت" (٣) على صناعة الصابون ، ورسم "الخرج (٤) اذ صدر الى الخارج .وفي سبيل حماية صناعة الصابون في نابلس اعفت الدولة الصابون المصدر الى يافا وغزه ومصر من اية رسوم،وفرضت اربعين مصرية على كل حمل صابون قادم من القدس الى منطقة نابلس (٥) .

والجدير بالذكر ان ابراهيم باشا لم يستوف عن الصابون الا ضريبة الميرى التي وزعت على مصابن نابلس بحسب عدد الطبخات التي تطبخ في كل مصبنة ، فارضا ٦٠٠ قرش على كل طبخه ((٦) . وفرضت الدولة رسوما على الدكاكين بمختلف انواعها سواء كانت سمانة ام دكاكين غزل ام ملحمه ام دكان جبن (٧) ، واستوفت الدولة كغيرها من الدول ، رسوما جمركية على البضائع التي تصدر الى الخارج وثانته بنسبة ٣ ٪ ،والبضائع التي تستورد بنسة ٩٪ (٨)، واستوفت ٢٠ ٪ رسم تجارة المرور (الترانزيت) .

---

(١) سجل : ١١ ، ص ١٣٤ .
(٣) رسم ~~الاسيه~~ الرفت :الجمرك عن البضاعه النازله : لانسي : ص ٢٧٣ .
(٣) رسم ~~الرفت~~ المصرية هي ضريبة الدخل : النسي : ص ٢٧٧ .
(٤) ~~الخرج~~ : سجل ٢ ، ص ١٧٢ .
(٥) سجل : ١١ ، ص ١٣٤ .
(٦) رستم : الاصول ، م ٢ ص ٣٤ .
(٧) سجل : ١٠ ص ٢٨٦ .
(٨) سجل : ١٠ ص ١٩٩ .

عرف الناس رسوما اخرى ابتدعها المتسلمون او فرضتها عشائر قوية على بعض الطرقات، ومن اشهر تلك الرسوم ما فرضه المتسلمون من رسوم على بيت الميت ، ورسوم على الكنائس المسيحية (١) . وما فرضه آل ابي غوش من رسوم " الخفر " أو " الاغفار " على الطريق المؤدي من يافا الى القدس (٢). وما فرضه شيخ بني صخر على تجارة القلي ، اذ فرض لنفسه خمسة قروش على كل حمل بعير ، وقرشين لكاتبه ، وقرشين لعبده (٣) .

والغت الدولة رسوم بيت الميت والرسوم المفروضه على الكنائس المسيحية ، فقد امر والي الشام متسلم نابلس سنة ١٢٤٣ /١٨٢٧ برفع تلك الرسوم وقال له : " وبوقوفكم على مرسومنا ترفعوا الختم وعن بيت الميت وتطيبوا خواطر الذميون لانهم ناس فقرا ومساكين ... " (٤) . وجاء ابراهيم باشا فالغى رسوم اغفار الطرق ، اذ ورد في احد مراسيمه " صدرت اوامرنا الى جميع المتسلمين الذين في ايالة الوية صيدا والقدس ونابلس وجنين برفع هذه الاغفار من جميع الطرقات " (٥) .

ثانيا : الرسوم الاخرى التي ذكرتها المصادر :

~~الرسوم التي ابتدعها المتسلمون~~ :

استوفت الدولة رسوما عينية عن الاغنام قبل فترة التنظيمات، ورسوما نقدية بعدها . وتراوحت الرسوم المفروضه على رأس الغنم من قرش ونصف الى خمسة قروش (٦) . واستوفت الدولة رسوما عن الجاموس والابل عشرة قروش (٧) . وكان يتم تعداد الاغنام في اوائل شهر اذار من كل سنة بواسطة مأموري العد الذين عينهم حكومة القضاء . وتم التحصيل قبل نهاية حزيران. واستثنت الدولة بعض حيوانات الزراعة كالحمير والبغال والخيل ، ولكن الدولة اوجبت دفع " الباج " عند بيعها بمعدل ٢٫٥ ٪ من ثمنها (٨) .

---

(١) رستم : لبنان ، ص ٦٩ .
(٢) سجل : ٨ ص ٣٧٦ .
(٣) رستم : بشير ، ص ٦٩ .
~~(٤) بيركهارت : ص ٨٢ .~~
(٤) سجل : ٨ ص ٣٧٦ .
(٥) رستم : الاصول م ١ ص ٨٨ . (٦) غرايبة : سورية ، ص ٦١
(٧) كرد علي : خطط ، ج ٥ ص ٩٤ .
(٨) رستم : لبنان ، ص ١٩٩ .

عرف الناس رسوما اخرى ابتدعها المتسلمون او فرضتها عشائر قوية على بعض الطرقات، ومن اشهر تلك الرسوم ما فرضه المتسلمون من رسوم على بيت الميت، ورسوم على الكنائس المسيحية (١) . وما فرضه آل ابي غوش من رسوم "الخفر" أو "الاغفار" على الطريق المؤدي من يافا الى القدس (٢)، وما فرضه شيخ بني صخر على تجارة القلي، اذ فرض لنفسه خمسة قروش على كل حمل بعير، وقرشين لكاتبه، وقرشين لعبده (٣) .

والغت الدولة رسوم بيت الميت والرسوم المفروضه على الكنائس المسيحية، فقد امر والي الشام متسلم نابلس سنة ١٢٤٣ /١٨٢٧ (رفع تلك الرسوم وقال له : " وبوقوفكم على مرسومنا ترفعوا الختم وعن بيت الميت وتطيبوا خواطر الذميون لانهم ناس فقرا ومساكين ..." (٤) . وجاء ابراهيم باشا فالغى رسوم اغفار الطرق، اذ ورد في احد مراسيمه " صدرت اوامرنا الى جميع المتسلمين الذين في ايالة الوية صيدا والقدس ونابلس وجنين برفع هذه الاغفار من جميع الطرقات" (٥) .

ثانيا : الرسوم الاخرى التي ذكرتها المصادر :

~~الرسوم التي ابتدعها المتسلمون~~ :

استوفت الدولة رسوما عينية عن الاغنام قبل فترة التنظيمات، ورسوما نقدية بعدها . وتراوحت الرسوم المفروضه على رأس الغنم من قرش ونصف الى خمسة قروش (٦) . واستوفت الدولة رسوما عن الجاموس والابل عشرة قروش (٧). وكان يتم تعداد الاغنام في اوائل شهر اذار من كل سنة بواسطة مأموري العد الذين عينهم حكومة القضاء . وتم التحصيل قبل نهاية حزيران. واستثنت الدولة بعض حيوانات الزراعة كالحمير والبغال والخيل، ولكن الدولة اوجبت دفع "الباج" عند بيعها بمعدل ٢،٥ ٪ من ثمنها (٨) .

---

(١) رستم : لبنان، ص ٦٩ .
(٢) سجل : ٨ ص ٣٧٦ .
(٣) رستم : بشير، ص ٦٩ .
~~(٤) بيركهارت : ص ٨٢~~ .
(٤) سجل : ٨ ص ٣٧٦ .
(٥) رستم : الاصول م ١ ص ٨٨ . (٦) غرايبة : سورية، ص ٦١
(٧) كرد علي : خطط، ج ٥ ص ٩٤ .
(٨) رستم : لبنان، ص ١٩٩ .

وقد وجد في نابلس في نهاية القرن التاسع عشر من الدوائر الحكومية التي اختصت بشؤون الضرائب :

مديرية الجمارك ، مديرية الاراضي والضرائب ، هيئة التحصيلات وضمت مأمور الدفتر الخاقاني والمحاسب ، وهناك عساكر للمساعدة في تحصيل الضرائب (١)

كانت القاعدة ان كل ايالة اولاية تعيش على دخلها الخاص ، وتدفع الى خزينة الدولة قدرا معقولا جدا . ويرى محمد انيس ان التشريع الضرائبي العثماني لم يكن مرهقا لرعايا الدولة ، واذا قورنت الضرائب التي دفعها الفلاحون والتجار في مصر والشام في دولة المماليك بما دفعوه ايام الحكم العثماني ، لوجد ان الضرائب ايام الدولة العثمانية كانت اخف وطأة ، وسبب هذا ان الحروب قد خفت في الشرق الادنى بعد ان سيطرت الدولة العثمانية على المنطقة بأسرها ، ولذا انخفضت المنشآت العسكرية الى مستوى حاميات صغيرة للامن ، ولم تعد الحاجة ماسة الى ارهاق الفئات المنتجة من الفلاحين والتجار بالضرائب او المغارم لغرض الحرب (٢) .

واذا اعتبرنا الالتزام أسوأ ما في نظام الضرائب فان هذا الاسلوب ليس جديدا ، ولا هو من بدع العثمانيين ، فقد تحدث ابو يوسف عن " القبالة " وسيئاتها " لان المتقبل اذا كان في قبالته فضل عن الخراج عسف اهل الخراج وحمل عليهم ما لا يجب عليهم وظلمهم واخذهم بما يجحف بهم " (٣) . وشاع في مصر اسلوب " تضمين الخراج " (٤) . والملتزم في الدولة العثمانية ، والملتزم في غالب الاوقات لا يبالي بهلاك الناس او بصلاحهم ويسعى دائما الى الحصول على اكثر مما دفع ، ولم يكن يتم ذلك الا اذا استعمل الشدة على الرعية (٥) .

---

(١) سالنامة بيروت ، ص ٢١٨ - ٢٣٦ .

(٢) محمد انيس (محمد) : الدولة العثمانية والشرق العربي ، ص ١٤٥ .

(٣) ابو يوسف : ص ١٠٥ .

(٤) الدوري (عبد العزيز) : النظم الاسلامية ، ص ١٦٩ .

(٥) ابو يوسف : ص ١٠٥ .

يتطلب استخدام نظام الالتزام في الضرائب ان تكون الدولة قوية ، وان تمتلك جهازا اداريا على درجة عالية من النزاهة والكفاءة . وهذا لم يتوفر دائما للدولة العثمانية في القرن الماضي . ولذلك ضاق الناس ذرعا بثقل الضرائب وبسوء جبايتها ، وخرج كثير من الناس من اراضيهم فرارا من ظلم المتنفذين (١) وكان الناس في بعض الاحيان يقاومون الولاة والمتسلمين والملتزمين كلما وجدوا الى ذلك سبيلا . رغم انهم تعودوا الظلم واستمرأوه حتى اصبح جزءا من حياتهم الا انهم كانوا ينتفضون بين حين وآخر . فقد ثار سكان دمشق ثورة عارمة ، وادت ثورتهم الى قتل الوالي محمد سليم باشا سنة ١٢٤٧/ ١٨٣١ قبيل الفتح المصري لبلاد الشام ، وذلك لان الوالي حاول فرض ضريبة بسيطة على كل عقار في دمشق (٢) . وثارت نابلس ضد عبد الله باشا والي صيدا ، وثارت ضد ابراهيم باشا المصري ، وضد حكامها العثمانيين فيما بعد . واستطاعت نابلس ان تقاوم الى حد ما جشع الملتزمين وجامعي الضرائب المحليين والخارجيين .

---

(١) كرد علي : جباية الشام ، مجلة المجمع العلمي العربي ، م ١ ، ص ٣٦٥ .

(٢) عوض : ص ١٨٣ .

النقـــود - مستوى المعيشـــــة

أشارت السجلات الى العملات التالية : " الاقجه " (١) و " الباره" (٢) و " الزولطة او الزلطـــة" (٣) و " القرش الاسدى " (٤) و " القرش الصاغ " (٥) و " الريال المجيدى " (٦) و " الليرة العثمانية " (٧) و " الليرة الفرنسية " (٨) و " الكيس " (٩) . وتجدر الاشارة الى انه كان في الدولة العثمانية فوضى في النقود والمكاييل والموازين والمقاييس (١٠) .

سكت الاقجه التي سميت احيانا " اسبير Asper " (١١) في عهد السلطان اورخان ٧٢٦ / ١٣٢٦ - ٧٦١ / ١٣٦٠ ، وهي اول عملة عثمانية سكت من الفضـة ، وكان وزنها لا يزيد على ربع مثقال (١٢) من الفضة الخالصة ، ولكن قيمتها تدهورت بعد ذلك وحتى عهد السلطان سليم الاول . ظلت الاقجه العملة المتداولة حتى نهاية القرن السابع عشر (١٣) . ولـــم تكن هذه العملة متداولة بين الناس في نابلس في القرن التاسع عشر ، وورد ت اشارة واحدة عنها حينما تحدثت وثيقة عن راتب احد خطباء المساجد في نابلس هـــو اقجه يوميـــا (١٤) .

---

(١) سجل : ١٢ ، ص ٤٦ .
(٢) سجل : ٦ ، ص ٣٧١ ، سجل : ١٣ ، ق ٢ ص ٢٤١ .
(٣) سجل : ٦ ص ٣٣٧ .
(٤) سجل : ٦ ص ١٧٤ ، سجل : ١١ ص ١٤٥ .
(٥) سجل : ٦ ، ص ٣٤٥ ، سجل ١٣ ، ق ١ ص ١١٩ .
(٦) سجل : ٢١ ص ١٢٣ .
(٧) سجل : ١٣ ، ق ٢ ، ص ٢٦٥ ، سجل : ٢٦ ص ٣٤ .
(٨) سجل : ١٣ ق ٢ ص ١٢٨ .
(٩) سجل : ١٦ ص ٣٢٠ .
(١٠) غرايبة : سورية ، ص ١٦٠ .
(١١) رافق : ص ٧٠ .
(١٢) كان المثقال في سورية يساوى $\frac{5}{}$ ١ من درهم = ٢٤ قيراط = ٨٥ حبه اى ما يعادل ٤٫٢٤٧ غم . هنتس ص ١٣ .
(١٣) عوض : ص ١٨١ .
(١٤) سجل : ١٢ ص ٤٦ .

استعملت الدولة البارة سنة ١٠٦٦ / ١٦٢٠ (١)، وهي عمله فضية . واشار الساطي ان لفظ "بارة" اطلقه العثمانيون على نقد فضي استعمل في مصر منذ القرن السادس عشر حتى اوائل القرن التاسع عشر وهو "نصف فضه"، واضاف بان البارة اصبحت تعني فراطة او كسور (٢). واختلفت قيمة البارة بين حين واخر الا انها كانت تساوى بين ١ر٥ اقجة - ٢ر٥ اقجة . وبدأت البارة تحل محل الاقجه كوحدة للنقد العثماني اواخر القرن السابع عشر (٣) .

وورد ت اشارة الى استعمال الزلطه اوالزولته ، وهي في الاصل عملة بولونية، بدأ العثمانيون بسكها اعتبارا من سنة ١١٠٠ / ١٥٦١ ، وهي عملة فضية كانت تساوى ثلاثين بارة (٤) .

اشارت السجلات الى نوعين من القروش ، القرش الاسدى العثماني وهو عمله فضيه (٥)، سكه العثمانيون في القرن الحادى عشر الهجرى / السابع عشر الميلادى ، القرش الصاغ (٦) وهو القرش الفضي الكامل الصحيح العيار، وهو ايضا كان يعادل ٤٠ بارة او ٤٠ نصف فضة (٧). وميز الناس في تعاملهم النقدي بين القرش الصاغ وبين القرش المستعمل، فاطلق على الاخير العملة الرايجه . وكانت قيمة القروش الرائجة في التعامل اقل قيمة من القروش السالمة، فمثلا ١٩٠٠ قرش من العملة الرائجة كانت تساوى ١٦٣٠ قرش صاغ (٨) .

---

(١) فارس (سليم) : كنز الرغائب في منتخبات الجوائب ، ج ٧ ، ص ٢٢ ، رافق : ص ١٨٢ .

(٢) الساطي : النقود في البلاد العربية ، مجلة كلية الاداب ، م ٢ ، ص ١٠٧ .

(٣) نفس المصدر : ص ١٠٩ .

(٤) النمر : ج ٢ ، ص ٢٦٩ .

(٥) Redhouse : P, 108 .

(٦) الصاغ : السالم ، الصحيح ، صاف ، خالص : الانسي : ص ٣٢٩ .

(٧) سجل : ٨ ، ٣٥١ ، ٣٧٤ ، سجل ٩ ، ٣٤٥ .

(٨) سجل : ١٥ ص ٤ .

وردت اشارة الى " البشلك " وكان يساوى خمسة قروش (١) ثم قرشين ونصف (٢) .

اشارت السجلات الى الريال المجيدى او الليرة المجيدية ، وقد دعيت بذلك نسبة (٣) الى السلطان عبد المجيد ١٢٥٥ / ١٨٣٩ ، وهي عملة ذهبية كانت تساوى ١٠٠ قرش . وهناك المجيدية وهي عملة فضية تراوحت قيمتها بين ١٩ - ٢١ قرش (٤) وفئات المجيدية : نصف مجيدى وربع مجيدى (٥) .

تمثل الليرة العثمانية العملة الذهبية العثمانية وتساوى ١٠٠ قرش (٦) او خمس مجيديات او ريالات عثمانية (٧) . وساوت الليرة الفرنسية التي شاع استعمالها في بلاد الشام الليرة العثمانية اذ كانت قيمتها هي الاخرى ١٠٠ قرش (٨) .

شاع استعمال الكيس في الدولة العثمانية (٩) ، وهو وحدة عثمانية في التعامل النقدى . واختلفت قيمته النقدية حسب الزمان والمكان ، ففي استانبول تألف عادة من ٥٠٠ قرش ذهب او فضة (١٠) ، ودعي بالكيس الرومي (١١) ، اما الكيس المصرى فساوى ٦٠٠ قرش من القروش التركية . وبقي الكيس مستعملا حتى الغي في فترة التنظيمات . اما لفظ المصارى " الذى اشارت اليه السجلات ، فقد عنى النقود لان اهل الشام عموما اطلقوا على النقود كلمة " مصرية " و " مصريات " و " مصارى " (١٢) .

---

(١) سجل : ٢١ ، ص ١٠٧ .
(٢) الدباغ : ج ٢ ق ٢ ص ١٩٠ .
(٣) سجل : ١٣ ، ق ١ ص ١٠٦ .
(٤) رستم : لبنان ، ص ١٩٦ ، الدباغ ، ج ٢ ق ٢ ص ١٩٠ .
(٥) الدباغ ، ج ٢ ق ٢ ص ١٩٠ .
(٦) فارس : ج ٥ ص ٢٨ .
(٧) سجل : ١٣ ق ١ ص ٢٥٤ .
(٨) سجل : ٦ ص ٣٢٧ .
(٩) فارس : ج ٧ ص ٢٢ .
(١٠) رافق : ص ٢٦١ .
(١١) الساحلي : النقود في البلاد العربية مجلة كلية الاداب م ٢ ص ١٠٧ .
(١٢) نفس المصدر ص ١٠٩ .

وجدت ثلاثة مستويات لمعيشة ، الناس في القرن الماضي . وتحدد مستوى معيشة كل فئة بحسب دخلها والفئة الاولى : وهم قلة من الاقطاعيين والملتزمين وشيوخ النواحي وبدرجة اقل شيوخ القرى ، وكانت حالة هذه الفئة بصورة عامة حسنة ، وذلك بالنظر لما تتمتع به من سلطة ونفوذ ، ولما كانت تحصل عليه من واردات سواء من اقطاعاتها ام بحكم سلطتها ونفوذها . وقد عاشت هذه الفئة حياة منعمة مترفة ، واكد ظاهرة الغنى لدى هذه الفئة ثراؤها وقصورها فمثلا احصيت تركة الشيخ محمد القاسم الجماعيني ، وربما كان اقل الشيوخ ثروة ، فبلغت ١٤٧٦٣ قرشا (١) وذكر النمر القصور التي كانت لال طوقان وآل النمر وآل عبد الهادى وال القاسم (٢) .

جاء بعد الفئة الاولى فئة التجار والصناع في مدينة نابلس . وقد استفادت هذه الجماعة كثيرا من رخص المواد الخام المحلية اللازمة للصناعة وارتفاع اسعار البضائع المصنعة وصناعة الصابون التي هي اشهر صناعات نابلس ، اوضح مثل على ذلك ، فقد تراوحت قيمة جرة الزيت الصافي في فترات مختلفة بين ٤٠ - ٨٤ قرشا (٣) ، وتراوح سعر قنطار الشيد بين ١٥ - ٢٠ قرشا (٤) ، وكان قنطار القلي يباع ب ١٥٠ قرشا (٥) ، وفي مقابل ذلك بيعت طبخة الصابون باسعار مرتفعة وصلت مرة الى ١٢٧ الف قرش . وبما ان الطبخة كانت تتألف من ٢٥٠ وزنة ، وقدرت الوزنة بثمانية ارطال (٦) ، اى ان الرطل من الصابون كان يباع بحوالي ١٣ قرشا ، وهذا السعر قريب من ثمن قنطار الشيد .

وكذلك الحال في المواد الزراعية ، اذ كانت هي الاخرى رخيصة الاثمان بالقياس الى البضائع التجارية الاخرى . فمثلا اشترى احد التجار ١٢ صاعا من القمح ب ٧٢ قرشا (٧) ، بينما باع تاجر آخر خمسة ارطال من السكر ب ٢٢٧ قرشا (٨) ولذا عاشت فئة التجار والصناع في بحبوحة . والدليل

---

(١) سجل : ٩ ص ١٤٨ .
(٢) النمر : ج ٢ ص ١٨٢ .
(٣) سجل : ١٣ ق ١ ص ٢٦٢ ، سجل ٢٣ ، ص ١٢٣ .
(٤) سجل : ٢١ ص ١٩ ، سجل : ٢٣ ص ١٢٣ .
(٥) سجل : ٢١ ص ١٩ .
(٦) سجل : ٢١ ص ٨ .
(٧) سجل : ١٣ ق ١ ص ٢٥٤ .
(٨) سجل : ٢٢ ص ١٥٧ .

على ذلك ان جماعة التجار اعتبرت من وجوه البلد واعيانها ، ولم تكن المراسيم تغفل ذكرهم ، بل اوجبت معاملتهم بما يليق بمكانتهم . فقد ارسل والي القدس مرسوما الى متسلم نابلس سنة ١٢٥٦ / ١٨٤٣ اوصاه "بافتخار التجار المعتبرين الحاج ابراهيم العنبتاوى لكونه من ذوى البيوت ومن وجوه البلده فيكون له ديمومة الرعاية والا يحصل عليه ثقله ولا تعدى من احد بغير الحق بل يعامل بصنوف الرعايه وانواع الاحترام من ساير الوجوه المستلزمة اليها واجبات حالة ..." (١) .

شكل الفلاحون الغالبية العظمى من سكان جبل نابلس . وعانت هذه الفئة كثيرا من الظلم الذى وقع عليهم من الحكام والملتزمين . ويستدل على سوء اوضاع هذه الجماعة الكبيرة من الناس ان المراسيم كانت تشير اليهم في معرض الشفقة عليهم والتوصية بهم بلفظ "الرعايا الفقراء وديعة رب السماء" (٢) . وما حوادث القتل والسرقة وقطع الطرق التي انتشرت في البلاد الا واحد دوافعها سوء الاحوال الاقتصادية للغالبية العظمى من الناس .

تجدر الاشاره هنا الى نقطتين : الاولى هي . ان القرش كان بصورة عامة قليلا ونادرا في ايدى الناس ، فمهور الزواج رغم اختلافها تراوحت بين ٣٠٠ - ١٠٠٠ قرش ، بينما بيع راس البقر بمعدل ٨٠٠ قرش (٤) . اى انه كان باستطاعة الانسان ان يتزوج اذا قدّم بقرة مهرا لزوجته . ولم يزد راتب المدرس في الجامع عن ٢٥٠ قرشا سنويا (٥) وخصص لاحدى الامهات نفقة بمعدل قرشين في اليوم (٦) ، واقام احد الاشخاص دعوتين في المحكمة الشرعية لاجل تحصيل عشرة قروش اوصى له بها قريب (٧) ، وكانت تركة احد المتوفين عشرة قروش (٨) . والنقطة الثانية ، هي : ان الاسعار

---

(١) سجل : ١٠ ، ٢٧٥ .
(٢) سجل : ٦ ص ٣١٢ ، ٣٣٨ ، سجل : ٨ ص ٣٦٥ ، ٣٦٧ ، ٣٧٠ ، ٣٧٦ .
(٣) سجل : ١٥ ص ١٢ سجل : ٢٦ ص ١ .
(٤) سجل : ٢٤ ص ١٨١ .
(٥) سجل : ٣٥ ص ٣٢٤ .
(٦) سجل : ٢١ ص ٢٧٥ .
(٧) سجل : ١٣ ق ٢ ص ٧٣ .
(٨) سجل : ١٥ ص ٣٨٨ .

رغم اختلافها بين حين واخر ، كانت اخذة بالازدياد مع تقدم السنين ، وعلى الاخص اسعار البضائع الصناعية المستوردة . واوضح مثل على ذلك انه بيعت ساعة في نابلس سنة ١٢٥١ / ١٨٣٥ ب ٨٧ قرشا (١) وبيعت سنة ١٢٩٨ / ١٨٨٠ ب ١٩٠ قرشا (٢) وبيعت سنة ١٢٩٩ / ١٨٨١ ب ٢٠٠ قرشا (٣) .

---

(١) سجل : ٤ ص ٣٩٦ .
(٢) سجل : ٢٢ ، ص ٣٩٧ .
(٣) سجل : ٢٢ ، ص ٣٩٧ .